الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

تمظهرات السيرة الذاتية

في رواية "تشرّفت برحيلك" لفيروز رشام

مذكرة لاستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

* نسيمة فرحات

* يسمينة حداد

إشراف الأستاذ:

الدكتور آية الله عاشوري

السنة الجامعية: 2020/2019م

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة على نبينا الكريم أشرف خلق الله

-صلى الله عليه وسلم-.

أهدي عملي هذا وثمرة جهد سنين من المثابرة والاجتهاد إلى:

من حملت ووضعت، إلى من ربت وشقت، إلى من سهرت وتعبت، وإلى من أرضعتني الحب والحنان، وفطمتني الثقة والعزيمة، حبيبة قلبي **أمي الغالية**.

إلى من تعب وكد، إلى من شقى وتآكل جسده، عرق واجتهد، غلى من تجرع كأس المر لمستقبل أفضل **أبي العزيز**.

إلى توأم روحي، وشريك حياتي، إلى بلسم جروحي، وشفاء آلامي، إلى من ضحى وسقى في نفسي روح المثابرة والعزيمة، إلى من أكن له كل مشاعر الاحترام والمودة **زوجي الغالي الكريم**.

إلى عائلة زوجي التي أكنّ لها كل الاحترام والتقدير

إلى زميلتي يسمينة التي تقاسمت معي إنجاز هذا العمل

إلى كل من ساعدني في إنجاز مذكرتي سواء من قريب أو من بعيد.

إلى الروح الطيبة والمفعمة بالحيوية، رفيقة دربي، وحافظة أسراري، أختي وحبيبتي "**نيلة**" والتي كانت لي السند في عملي المتواضع هذا.

إلى لؤلؤة البيت وسر سعادته أختي الصغيرة "**وسيلة**" حفظها الله.

وأخيرا وليس آخرا إلى بهجة روحي، وفرحة عمري، إلى فلذة كبدي، ونبض قلبي، ابنتي وحبيبتي "**مليسا**" دمت في حماية الله ورعايته.

نسيمة فرحات

إهداء

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين

الحمد لله الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل ليكون ذخرا للأجيال القادمة

أما بعد:

أهدي هذا العمل المتواضع إلى والديّ العزيزين أدامهم الله وحفظهم

إليك أيتها الحنونة الصبورة، ونور حياتي .. **أمي الغالية**

إلى الذي بذل جهده وماله في سبيل تعليمي ولم يبخل عليَ يوما بشيء .. **أبي العزيز**

أقول لهما: أنتم وهبتماني الحياة والأمل والنشأة على شغف الاطلاع والمعرفة

إلى إخوتي **فريد** و**عادل** وصغيرتنا **سهيلة**، حفظهم الله ووفقهم جميعا

إلى جدتي أطال الله في عمرها

إلى خالي وزوجته وجميع أولادهم

إلى عمتَايْ وأعمامي وكل أفراد عائلتهم

إلى زميلتي نسيمة التي تقاسمت معي إنجاز هذا العمل

إلى كل صديقاتي وزميلاتي مع تمنياتي لهن بالنجاح

إلى كل من علمني حرفا وكل معلم أنار شمعة في طريق العلم

ولن أنسى مشرفي الفاضل حفظه الله لأهله وأبنائه

يسمينة حداد

شكر وعرفان

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسوله الكريم

نشكر الله عز وجل أولا على فضله ونعمه التي أنعمها علينا،

ونحمده على توفيقه لنا في مشوارنا العلمي.

الحمد لله الذي سقانا من كأس العلم واليقين، وشفى غليلنا المعرفي،

والذي بفضله ومنّه أنجزنا هذا العمل المتواضع.

فالحمد لله حمدا كثيرا والشكر له شكرا جزيلا.

يشرفنا أن نتقدم بكل الشكر والعرفان لقائدنا في مسيرتنا العلمية

الدكتور ***آية الله عاشوري*** الذي كان لنا نعم الأستاذ، وخير المشرفين، والذي كان

لنا المرشد والموجّه .. كل الشكر والعرفان لك يا نعم الأستاذ.

لنا الشرف بأن نتقدم بالشكر لأعضاء لجنة المناقشة

الذين شرفونا بقراءة عملنا المتواضع.

مقدمة

الرواية جنس أدبي نثري مرن، استطاع الانفلات من قواعد التجنيس وتقنياتها، إذ انفتح على الأجناس الأخرى الأدبية منها وغير الأدبية، حيث تداخل مع بعضها في شكل سرد هجين بفعل التجريب، ومن ذلك ما يعرف بالرواية السيرذاتية التي تعتمد على تقنيات الكتابة الروائية التي تجعل من حياة كاتبها مادة سردية، يتداخل فيها الصدق السيري بالمتخيل السردي، لتجد الروائي بطلا يصول ويجول بين الأزمنة والأمكنة متواريا خلف التخييلي، تفاديا للمساءلة.

كتبت عديد الروائيات نصوصهن الإبداعية على شكل جنس الرواية السير ذاتية، إذ نَهَجْنَ نهجا جديدا في توظيف السيرة الذاتية داخل نسيج عمله ن الروائي، وذلك حال الروائية الجزائرية فيروز رشام في روايتها "تشرفت برحيلك" مدونة بحثنا هذا.

إن السبب الرئيس في اختيارنا لهذا الموضوع هو اهتمامنا بالرواية باعتبارها مدعاة للمقروئية ومتعة للقراءة، وكذا محاولتنا كشف جمالية تداخل الرواية بالسيرة وتعالقهما في شكل سرد هجين أو ما يعرف بالتزاوج/التداخل الأجناسي على سبيل التجريب في الرواية.

حاولنا من خلال بحثنا هذا الإجابة على بعض التساؤلات التي اتخذناها معالم نسير على إثرها، نذكر منها:

- كيف أمكن للرواية أن تتزاوج مع السيرة، رغم التباين بينهما خاصة ما تعلق بالتخييل والصدق؟

- ما هي الخصائص الجمالية والفنية للرواية السيرذاتية؟

- كيف تماهى الصدق السيري مع المتخيل الروائي في رواية "تشرفت برحيلك" لفيروز رشام؟

انطلاقا من هذه التساؤلات، وسمنا بحثنا بـ: تمظهرات السيرة الذاتية في رواية "تشرّفت برحيلك" لفيروز رشام.

قسمنا بحثنا إلى فصلين، أولهما نظري، وثانيهما تطبيقي.

أما الفصل الأول فعنوناه بـ: الرواية السيرذاتية .. السرد الهجين، حاولنا من خلاله تحديد ماهية الرواية وكذا السيرة الذاتيةِ، بعدها حددنا دوافع كتابة السيرة الذاتية، ثم ذكر وظيفتها، وتبيان أصنافها، وعلاقتها بالأشكال الأدبية الأخرى، لنختمه بتحديد مفهوم الرواية السيرذاتية.

وأما الفصل الثاني المعنون بـ: السرد السيري في رواية "تشرفت برحيلك" لفيروز رشام، خصصناه لتحديد معالم الرواية السيرذاتية بدءا من الميثاق بنوعيه: الروائي والسير ذاتي، وكذا الشخصيات المحركة لأحداث العمل الروائي، لنتطرق بعدها للزمن (الاسترجاع الداخلي منه والخارجي وكذا الاستباق)، لنختمه بذكر الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة.

أنهينا بحثنا بخاتمة ذكرنا فيها أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال مسارنا البحثي.

توسلنا في بحثنا هذا الإجراء الوصفي التحليلي، حيث إننا انطلقنا من داخل النص الروائي في محاولة منا لربطه بالعلائق الخارجية على سبيل المنهج البنيوي في محاولتنا هدم البناء الروائي ومن ثمّ إعادة بنائه قصد تجلية تمظهر السيرة الذاتية داخل المتن الروائي.

من المراجع التي اعتمدناها في بحثنا هذا نذكر –على سبيل التمثيل لا الحصر–:

* صالح معيض الغامدي، كتابة الذات : دراسات في السيرة الذاتية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 2013م.

* لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، لبنان، ط 1، 2002م.

* تيتز رووكي، في طفولتي : دراسة في السيرة الذاتية العربية، تر: طلعت الشايب، مراجعة وتقديم: رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002م.

* فيليب لوجون، السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة وتقديم: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1994م.

وقد واجهنا في بحثنا هذا بعض الصعوبات –حالنا في ذلك حال كل باحث–، عملنا جاهدتين على تخطيها –ولله الفضل والمِنَّةُ في ذلك–، أضف إلى ذلك وباء كوفيد 19 الذي حال دوننا والتعليم الحضوري –نسأل الله تعالى أن يرفع عنا البلاء والوباء–.

حسبنا من عملنا هذا أننا قد اجتهدنا، فما كان من صواب فمن الله عزّ وجلّ وحده، وما كان غير ذلك فمن أنفسنا ومن الشيطان.

نتوجه في الختام بجزيل الشكر والامتنان –بعد الله عز وجل– إلى أستاذنا المشرف الدكتور آية الله عاشوري الذي كان لنا عونا ومرشدا طوال مشوارنا البحثي.

تمت بعون الله يوم: 2020/09/05م

نسيمة فرحات و ***يسمينة حداد***

الفصل الأول:

الرواية السيرذاتية .. السرد الهجين

1. الرواية:

الرواية جنس أدبي نثري، له ضوابطه وآلياته الخاصة به والمميزة له من بين سائر الأجناس الأدبية الأخرى، ففي معجم النقد الأدبي نجد أن: «الرواية Roman يطلق على العمل النثري الذي يتميز بالطول (أكثر من القصة) والذي يروي قصة من الشخصيات أو شخصية واحدة. ولأن الرواية تطرح سرداً، فـإن الجنس الروائي يستخدم بشكل واضح وعلى وفق أساس الخطاب السردي، ومن هنا يمكن أن نشخص الرواية التعليمية، والرواية المسلسلة، ورواية السيرة الذاتية، ورواية التشرد، والرواية الواقعية التي تجسد الواقع...إلخ.»[1]

منه فالرواية عبارة عن شكل من الأشكال النثرية، تشبه القصة لكن تكون أطول منها، وفيها تسرد أحداث تقوم بها عدة شخصيات أو شخصية واحدة، وتختلف الروايات فيما بينها باختلاف مواضيعها.

أما نواف نصار فيعرفها بقوله: «رواية Novel قص نثري خيالي مطول يتعامل مع خبرات وشخصيات إنسانية، وذو أحداث ومشاهد متتابعة ومنظمة في زمن ومكان محددين، ويضم حبكة ما تكشفها الأحداث، وحديث الشخصيات وأفكارها.

الرواية تسرد قصة ما أي تتابعاً في الأحداث المتسلسلة في الزمن، تتعاقب منذ البداية حتى نهاية معينة، والروائي يقوم بإجراء قطع واختيار للوقائع التي يريد سردها، وهذا القطع والاختيار لا يتعلقان أحياناً بالتسلسل الزمني للأحداث.

[1] مجموعة من الباحثين، معجم النقد الأدبي، ترجمة وتحرير: كامل عويد العامري، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد–العراق، ط1، 2013م، ص356 وما بعدها.

(إن مهمة الرواية هي أن تحيينا بطريقة بالغة الدقة في تجارب إنسانية لا بالفكر وحده بل كذلك بالانفعال والحدس والأحلام: إنها تصلنا بزخم الحياة بطريقة فنية توحد كل المستويات. إن هذا الاتصال هو الذي يزيح اغتراب الإنسان ويهب حياته المعنى ويلبي حاجة من أعمق حاجاته الإنسانية، وتظل الرواية وثيقة الصلة بإغناء فكر الإنسان).»[1]

يعرف نواف نصار الرواية على أنها نص نثري خيالي مطول، فيه يقص السارد أحداث متعددة ومتسلسلة تقوم بها شخصيات مختلفة وذلك خلال أزمنة وأمكنة معينة، وتكون في هذه الأحداث غاية ما تكشف عنها الشخصيات من خلال الحديث وطرح الأفكار. ويمكن للسارد أن يحذف بعض الأحداث التي لا تؤثر على تسلسله وترابطها.

والغاية من الرواية هي إعطاء صورة فنية واضحة للقارئ عن حياة الإنسان وتجاربه فيها وذلك ليس عن طريق الفكر فقط، وإنما باستخدام الخيال والأحلام حتى تؤثر هذه الأخيرة في القارئ وتنمي تفكيره.

يقول محمد التونجي: «هي القصةُ الطويلةُ المكتوبةُ نثراً، والتي بُدئ بالكتابة بها منذ القرن السادسَ عشرَ في إنكلترة. أما الروايةُ الحديثة فيرجِع تاريخُها إلى القرن ١٨، مع بواكير ظهورِ الطبقة البورجوازية، وما صَحِبها من تحرُّر الفرد من رِبْقة التَّبعيات الشخصية.

[1] نواف نصَّار، المُعْجَم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط 1، 2007م، ص89 وما بعدها.

وتُعرف بأنها سرد قصصيٌّ نثري طويل يصور شخصياتٍ فرديةً من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد.»[1]

ويعرفها مرتاض بقوله أنها: «عالم شديد التعقيد، متناهي التركيب، متداخل الأصول. إنها "جنس سردي منثور".»[2]

إذن فالرواية عبارة عن عالم واسع معقد، ومركب من شخصيات وأحداث ووقائع وأزمنة متفاوتة بين آن واسترجاع واستباق.

إن تعريف الرواية يختلف باختلاف رؤية الدارسين لها، ومردّ ذلك إلى اتساع مجال عالمها، وسمة الانسيابية التي تتميز بها، يقول لطيف زيتوني: «إن ازدهار الرواية وتعدّد أنواعها واتساع أغراضها واختلاف أساليبها وتدرّج مستوياتها وتنوّع مصادرها وسرعة تطورها ورحابة مجالها وتمرّدها على القوالب واستيعابها لكثير من عناصر الفنون وانتشارها في كلّ الآداب المعاصرة، كلّ ذلك جعل الوصول إلى تعريف واحد جامع ودقيق في آن واحد أمرًا صعبا. أما التعريفات التي سجّلها تاريخ الأدب فمن نوعين: تعريفات عامة كافية لتمييز الرواية بين الفنون الأدبية ولكنها قاصرة عن رسم الحدود التي تفرق الرواية عن سائر الأنواع السردية، وتعريفات خاصة تقدم مفهومًا للرواية يتناسب مع مذهب أدبي بعينه.

---

[1] محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط 2، 1419هـ/1999م، ص491.

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، سلسلة عالم المعرفة 240، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، ديسمبر1998م، ص25.

والرواية، في الصورة العامة، نَصّ نثري تخيّلي سردي واقعي غالبًا يدور حول شخصيات متورّطة في حدث مهمّ، وهي تمثيل للحياة والتجربة واكتساب المعرفة. يشكّل الحدث والوصف والاكتشاف عناصر مهمة في الرواية، وهي تتفاعل وتنمو وتحقّق وظائفها من خلال شبكة تسمى الشخصية الروائية. فالرواية تصوّر الشخصيات ووظائفَها داخل النَصّ وعلاقاتها فيما بينها، وسعيَها إلى غايتها، ونجاحَها أو إخفاقها في السعي.»[1]

الرواية عالم فسيح يجول بين أرجائه شخصيات نسجت من عالم الخيال، واتخذت لها أماكن تراوحت بين المغلق والمفتوح، في إطار زمني يجمع الماضي بالحاضر ويستشرف المستقبل، كل ذلك يكتب بلغة تتماشى والغرض الذي يجعل من الرواية سريعة الانتشار تحوز نسبة عالية من المقروئية.

2. السيرة الذاتية:

1.2 الماهية:

يعيش الإنسان حياته بين آمال يبغي تحقيقها، وآلام تعترضه في بعض مساراته الحياتية، لتجده ساعيا بين الحالين، فيتعلم أحيانا من تجاربه الذاتية، وأحيانا أخرى تكون تجارب غيره معلما يسير على منواله، ولكن البعض يحاول أن يفضي ببعض تلك المحطات والتجارب ليخرجها إلى العلن عن طريق الكتابة، وهو ما يعرف أدبيا بالسيرة الذاتية، التي تعني:«إفضاء بذات النّفس، وبالحقيقة كما تمثَّلت في رؤيا الكاتب الإبداعية على أساس من

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، لبنان، ط 1، 2002م، ص98 وما بعدها.

التَّطوُّر الذَّاتي في داخل النّفس وخارجها، ومن ثَمَّ "قد تجيء السِّيرة الذّاتيّة صورة للاندفاع المتَحَمِّس والتَّراجع أمام عقبات الحياة، وقد تكون تفسيرًا للحياة نفسها، وقد يميل فيها الكاتب إلى رسم الحركة الدّاخلية لحياته، مُغفِلاً الاهتزازات الخارجية فيها إغفالاً جُزْئيًّا، وقد تكون مجرّد تذكُّر اعترافي مُوَجَّه إلى قارئ متعاطِف مع الكاتب. وقد تمتزج هذه العناصر على أنصبة متفاوتة، فإذا كان الشَّخص الذي يترجم لنفسه ذا منزلة خاصة في المجتمع، وكان يرمي إلى إنشاء هذا التَّعاطف بينه وبين القارئ، وأقام سيرته في بناء فنِّي، لم يغفل فيه قيمة الأسلوب وتأثيره، وكان ماهراً في الرَّبط بين الصُّورة الدَّاخلية لحياته ومُنْعَكساتها في الخارج، فهناك تتم سيرة ذاتية مكتملة".»[1]

فالسيرة الذاتية: «سردٌ قصصي يتناول فيه الكاتب ترجمةَ حاله، وما يعترض حاله من معضلات وشدائد، محاولاً تتابع الأحداث زمنياً وأهميةً. وهو في السيرة الذاتية لا يذكر إلا ما يشاء ذكره عن حياتهِ، وما يريد أن يوضِحه عن الناس حوله. وبإمكان الكاتب أن يَتَّبِعَ طريقة المذكِّرات اليومية، والتفصيلَ في الحكايات والأخبار بالقدر الذي يشاء. وتختلفُ السيرة الذاتية عن الترجمة الشخصية، في أن الأولى يكتب المؤلف نفسهُ حياته، أما الثانية فهي أنه يكتبُ عن غيره. وهي غير اليوميات لأنها تسجل كلَّ شيءٍ، ومرتبطة بالزمان بدقة، ويضطر فيها إلى تقطيع الخبر بحسب تَواليه. وهي أفضلُ هذه الأنواع الثلاثة فنيا.»[2]

[1] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، د.ط، 1992م، ص25 وما بعدها.

[2] محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج2، ص536 وما بعدها.

من خلال هذا التعريف نستنتج أن السيرة الذاتية عبارة عن سرد الكاتب أو المؤلف لقصة حياته وحاله، والمعوقات التي تصادفه خلال مساره الحياتي، وذكر أحداث متسلسلة وفق أزمنة معينة، وفي السيرة الذاتية يذكر الكاتب ما يشاء ويترك ما شاء من تفاصيل حياته وحياة من كان حوله من الشخصيات الأخرى، مع إمكانيته من إتباع طريقة المذكرات اليوميات، وهناك فرق بين السيرة الذاتية والترجمة الشخصية، حيث أن في السيرة الذاتية يكتب الكاتب عن حياته هو وعن ذاته أما في الترجمة الشخصية فيكتب عن شخص آخر.

أما سعيد حجازي فيرى أن: «سيرة ذاتية Autobiography Autobiographique كافة مجالات تاريخ شخصية الكاتب أو المبدع على ضوء مذكراته الشخصية وغير الشخصية، وعلى ضوء إنتاجه الأدبي أو الفني مع الإشارة إلى المشكلات التي واجهها في طفولته وما تلقاه من صدمات ومؤثرات انفعالية اضطر إلى كتابتها. مع الإشارة إلى ظروف البيئة التي نشأ فيها، ودرجة ثقافة الخاصة والعامة، والمرحلة التاريخية التي عاش فيها، إلى جانب وثائق تاريخية لم يكتبها عن نفسه.»[1]

السيرة الذاتية هي ذكر لحياة الكاتب كاملة من طفولته إلى اليوم الذي كتب فيه عن نفسه، فيذكر من خلالها كيف كان يعيش وحالته الاجتماعية ويذكر المشاكل التي كانت تعيقه في طفولته حتى لجأ لكتابتها والدافع للكتابة عن ذاته، وكذلك ذكر حياة الأشخاص

[1] سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط 1، 1421هـ/2001م، ص24.

الذين عاش معهم والمستوى الثقافي له ولكل المحيطين به، إلى جانب ذلك ذكرالفترة التاريخية التي عاش فيها.

أما في معجم النقد الأدبي فقد ورد ما نصه: «السيرة الذاتية Autobiographie – الترجمة الذاتية. وتعني الكلمة ما يكتبه المؤلف من قصة تتحدث عن حياته، سواء أكان ذلك رواية أو مذكرات أو يوميات أو اعترافات، وقد صار هذا النوع من الكتابة جنسا أدبيا متواترا. هذا على وجه خاص.

أما المعنى الدقيق، فهو قصة وحكاية، نثرية في أغلب الأحيان. من خلالها يقوم الراوي، الموجود فيداخلها بشكل حقيقي بعملية سرد حياته. إن القصة تعود إلى الماضي بينما يتم تدوين اليوميات في كل يوم.

وبالرغم من أن هذا النوع من الكتابة يعد جزءا من الأدب الروائي لكنه يتميز من الناحية النظرية على أقل تقدير، بروايات فيها الراوي هو الشخصية (راوي داخل قصة Intra diégétique) بوصفها لا تقدم رواية خيالية، وإنما هي شخصية في الظاهر مخلصة للأحداث التي عاشتها بشكل واقعي في حياة الراوي.»[1]

تتمثل السيرة الذاتية في الترجمة الذاتية والمقصود بها كتابة الكاتب أو المؤلف قصة حياته وفق شكل معين سواء رواية أو مذكرة أو يوميات أو اعترافات، والتعريف الصريح والدقيق لها هو نص نثري غالبا ما يكون قصة أو حكاية، حيث يقوم السارد بسرد حقيقة

[1] مجموعة من الباحثين، معجم النقد الأدبي، ص45 وما بعدها.

حياته. وتختلف القصة عن اليوميات بحيث القصة تعود أحداثها للماضي أما اليوميات فتدون يوميا.

وتعتبر رواية السيرة الذاتية أقل أهمية من الروايات الأخرى لأن المؤلف فيها يلتزم بذكر تفاصيل حياته حقيقة كما كانت وكيفما عاشها دون تدخل الخيال فيها فهو ملتزم بذكر الواقع كما هو. أما الروايات الأخرى يُدخل فيها الراوي عنصر الخيال مما يجعلها أكثر شيوعا ويكسبها قراء كثيرين.

وأما فيليب لوجون فيقول: «وتعني لفظة "سيرة" اليوم حسب الاستعمال:

أ. تاريخ إنسان (مشهور عموماً) مروي من طرف شخص آخر (وهو المعنى القديم والأكثر شيوعاً).

ب. تاريخ إنسان (غامض عموماً) مروية شفوياً من طرفه لشخص آخر أثار هذا التاريخ من أجل دراسته (منهج السيرة في العلوم الاجتماعية).

ج. تاريخ إنسان مروي من طرفه لشخص أو أشخاص يساعدونه، عن طريق سماعهم، على التوجه في حياته. (السيرة في تشكلها).»[1]

إن الحديث عن النفس، وتجلية بعض الجوانب الحياتية الخاصة بها يكاد يجتمع فيها الناس جميعا بفوارق متباينة في مدى كشف الأقنعة وإماطتها عن الخصوصيات، يقول إحسان عباس: «ليس في الناس من يكره التحدث عن نفسه، حتى الذين يقولون ذلك

[1] فيليب لوجون، السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة وتقديم: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1994م، ص10.

بألسنتهم إنما يعانون ألماً شديداً لكف أنفسهم عما تشتهيه، إذا هم قدروا على كفها. وكثير منهم من يجعل من ذلك وسيلة إلى التحدث عن ذاته، على وجه يوحي بأنه ينتزع الكلام عنها انتزاعاً، وهو كاره له، وإذا كان الحديث عن النفس بطريقة شفوية عامة حظاً مشاعاً بين أبناء الإنسانية، فإنه من بعض صوره قسمة تختص بالأديب أو الفنان، لأن "الأنا" حاضر لديه مقنعة أو مكشوفة. وهي تتقنع وراء شخصيات المسرحية والقصة، لأن صاحبها يجب أن يخلق المرايا المجلوة وينظر إلى نفسه فيها، وهي مكشوفة إذا كان يترجم لذاته، ويتحدث عن سيرة حياته. وليست ساذجاً عن النفس، ولا هي تدون للمفاخر والمآثر، ومن ثم كنا نستسيغها ونجد فيها متعة عميقة، بينما نهرب من الثرثارين الذين يملأون المجالس بالحديث عن جهودهم ومفاخرهم، وننسبهم إلى الغرور، ونتهكم منهم إذا استطعنا، لأنهم يصدمون فينا إحساسنا الذوقي بالصدق ف الخبر، ويسدون علينا المجالس العريضة حين يملأونها بدعواهم المنتفخة وغورهم العريض. أما كاتب السيرة الذاتية فإنه قلما يصدم مشاعرنا.»[1]

أدب السيرة كشف للخفايا وتعرية للدواخل، يتطلب جرأة من كاتبه، يقول لطيف زيتوني: «أدب السيرة هو حياة إنسان، أو بعضٌ منها، مُدَوَّنةٌ بقلمه. وهو اقتحام للذات لكشف حركة النفس الباطنية ومستوى وعيها. فوراء كلّ أدب ذاتي اعتقاد بأن الذات مستقلة ولكنها شفافة أمام نظر نفسها. هذا الاعتقاد غني بالنتائج إذا كتبنا الأدب الذاتي كبحث أنثروبولوجي (كما فعل روسو Rousseau) أو اعتمدناه كوسيلة تحدٍّ للمجتمع تتطلّب جرأة

[1] إحسان عباس، فن السيرة، دار الثقافة، بيروت–لبنان، ط2، 1900م، ص98.

حقيقية (كما في بعض الكتابات النسائية) أو كبوح مريح يعيد الثقة للأفراد الذين يفقدون تدريجًا يقينَهم بهويتهم في عالم اليوم الشديد التبدّل. وقد واجه هذا الأدب الاعتراض والرفض من جانب القراء الأخلاقيين المندّدين بتسامح الكاتب مع نفسه ورضاه عنها.»[1]

بمعنى أن الشخص يكتب عن ذاته، لذا ينبغي أن يتحلى بالشجاعة والثقة، لأنه حين يكتب عن ذاته سيكشف عن كل حياته، ويجلّي أسراره وخباياه الشخصية، حيث تلقى هذا النوع من الكتابة كثيرا من الاعتراضات من قبل القراء.

وللسيرة الذاتية مكونات تقوم على أساسها ويتحدد شكلها بناء على توفرها: «لكن، ما السيرة الذاتية عموما؟ إنها تتكون مما يلي: راوٍ، هنا والآن، يأخذ على عاتقه مهمة وصف تطور بطل هناك وحينذاك، بطل تصادف أنه يحمل الاسم نفسه. وينبغي عليه طبقا للعرف أن يستدعى هذا البطل من الماضي إلى الحاضر بطريقة ينصهر فيها البطل والراوي في النهاية ويصبحان شخصا واحدًا بوعي مشترك. ولأن، للاستدعاء من هناك وحينذاك لدرجة أن يصبح البطلُ الأصلي الراوي الحالي، يحتاج المرء إلى نظرية للن مو أو على الأقل للتحول؛ إلى وصفة تسمح لولد عديم الخبرة يسرق الكمثرى بأن يصبح القديس أوجستين الذي ينشغل الآن تماما بالصراع بين الإيمان والعقل. يصبح الولد، بالطبع، أداة في القص. يكرس حياته لنظرية أو قصة يتسق فيها مع قدره. في هذا النوع من القصص، ليس من الخطأ أن نقول: إن القول المأثور القديم قد عُدِّل. إذا كان الطفل في البداية أبًا للرجل، فالرجل الآن

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص13.

(في السيرة الذاتية) يستعيد دوره أبًا للطفل –لكنه هذه المرة يأسر الطفل من أجل الثقافة باستخدام نظريات الثقافة وقصصها.»[1]

إن كاتب السيرة الذاتية ملزم بالحقيقة، باعتبار أن كتاباته تلك اختيارية غير ملزم بالبوح بها، ولكنه رغم ذلك فعمله لا يسلم من تجميله لأحداث وتعتيم أخرى، يقول لطيف زيتوني: «سيرة ذاتية AUTOBIOGRAPHY–AUTOBIOGRAPHIE هي نَصّ سردي يتميّز عن الرواية المرويةِ بضمير المتكلّم بأنه لا يقدّم متخيَّلًا وهميًا بل يعرض الأحداث الحقيقية التي وقعت للراوي/الكاتب. ولا شك في أن الصورة التي تقدّمها السيرة الذاتية قد تختلف عن حياة الراوي في الواقع، إما بسبب عجز الذاكرة عن إعادة تكوين الحدث الماضي، وإما بسبب الرغبة في تجميل الحقيقة أو تعتيمها. وتختلف السيرة عن المذكِّرات بأن هذه لا توجّه اهتمامها أحيانا نحو "الراوي/البطل" بل نحو عصره. والسيرة تقدّم كشفًا عن حياة مكتملة تقريبًا، عن فترة الطفولة أو الشباب أو نشاط ظاهر الأهمية في حياة فرد. وهي وسيلة مختارة لمعرفة الذات، وقد تتحوّل إلى اعترافات إذا ارتبطت معرفةُ الذات بغاية أخلاقية.»[2]

يقول نواف نصار: «سيرة ذاتية Autobiography

* سيرة المرء يكتبها بنفسه.

[1] جينز بروكمبيرودونال كربو، السرد والهوية : دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة، تر: عبد المقصود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2015م، ص52.

[2] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص111.

يقول الدكتور جونسون (1709–1784) بأنه لا أحد مؤهلاً أكثر من الشخص نفسه ليكتب سيرته.

وهذا القول بحاجة إلى نقاش، فالمطلوب من الذي يكتب سيرته بنفسه أن يتصف بعدة أمور منها:

أ– ذاكرة قوية تسعفه في وصف الأحداث و نقل الأقوال والمواقف كما حصلت، وهذا قد لا يتأتى لكل الكتاب، خاصة أن العظماء لا يكتبون سيرهم إلا في المراحل الأخيرة من أعمارهم.

ب– الموضوعية والصراحة: بأن يكون الكاتب حيادياً صادقاً مع القراء فيما حصل له، خاصة الوقائع المتعلقة بحياته العاطفية والجنسية.

ج– يحرص الذين يكتبون سيرهم على تقديم صورة زاهية صافية لأنفسهم، ويصفون الآخرين–وبالذات آراءهم– بأنهم كانوا على خطأ، أو جهلة أو ظالمين .. وغير ذلك من الصفات التي لا ينسبونها لأنفسهم، وهذا نراه في كثير من كتب السيرة الذاتية.

وأن كان هناك ميزة لتلك السير فهي أنها جزء من التاريخ، لذا يتوقع أن نجد فيها معلومات عن العصر الذي عاش فيه الكاتب، وعن معاصريه سواء من رفاقه أو من أعدائه.

ولا تكاد أمة تخلو من هذا الفن، ومن أشهر ما كتب في ذلك: " اعترافات جان جاك روسو"، أعمدة الحكمة السبعة "لـ ت .س لورنس (1926)، تجارب في سيرة ذاتية للكاتب

هـ.ج. ويلز (1934)، ويوميات أندريه جيد (1939) وحياتي المبكرة لونستون تشرشل عام (1930).

وفي الأدب العرب: حياتي لأحمد أم ين عام 1951، و"أنا" و"حياة قلم" للعقاد عام (1964) وتربية سلامة موسى "سلامة موسى" (1947).»[1]

يقول عبد العزيز شرف: «فالسيرة الذاتية إذًا تنبع من القاموس الإنساني، الذي يحوي في "معظم لغات البشر كلمات تعبر عن الوحدة، والعُزْلة، والانطواء، والتَّأمُل، والاستبطان، والتفكير العقلي، والضمير، والوعي الفَرْدي... إلخ. "ومهما كان من أمر انشغال الإنسان بالعالم والآخرين، فإنه لابد من أن تجيء عليه لحظة يجد نفسه فيها في "حوار مع نفسه". وإذا كُنّا نقول إن الإنسان "شخص" وليس مُجَرَّد "فرد"؛ فذلك لأنه يملك حياة "باطنية" تحول بينه وبين الاستغراق في المجموع إلى أقصى حد.

وعلى ذلك فإن كتابة السيرة الذاتية تتم حينما يكون في مقدور كاتبها قطع صلته – إلى حين– بالبيئة الخارجية، لكي يجمع شَتات نفسه أو يتمَلَّك زمامها، أو يلتمس لحَيَواته العديدة مركزا يَلُمُّ شَعَثَها في النَّص الأدبي الذي يتخذ شارَة "السيرة الذاتية" بين فنون القول المختلفة.»[2]

وله في موضع آخر: «وإذا كان التعريف الشَّائع للسِّيرة الذّاتيّة يجعلها مرتبطة بالماضي، فإن جوهر هذا الفن الأدبي أوثق اتصالاً بالحاضِر والمستقبل منه بالماضي؛ ذلك

[1] نواف نصَّار، المُعْجَم الأدبي، ص105 وما بعدها.

[2] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص7.

أن الماضي الروحي الحقيقي –كما يقول أحد الفلاسفة المعاصرين– هو ذلك الذي تعيد الذّات خلقه في صميم الحاضر، فهو ليس بمثابة مجموعة من الذكريات التي يَخْتَزِنها الوعي بقدر ما هو مَقْدِرَة على الاحتفاظ بتلك الذّكريات والعمل على استثارتها عند اللزوم، بمقتضى فاعليَّة حاضرة تملك باستمرار بعث تلك الذِّكريات أو استحضارها. وتأسيساً على هذا الفهم يمكن القول إن أدب السِّيرة الذَّاتيَّة، رغم أنه يُمَثِّل منظوراً نُطِلّ منه على "الماضي"؛ يَسْتَنِد أساساً إلى "الحاضر" نفسه. وبهذا المعنى قد يصح لنا أن نقول إن السِّيرة الذّاتية، كأدبٍ، تختلِف عن المفهوم التاريخي من حيث إنها تشهد على أن للمستقبل مركز الصّدارة بالقياس إلى الماضي. ولعل هذا ما عبَّر عنه "هيغل" بقوله: "إن المقولة الأولى من مقولات الوعي التاريخي لا يمكن أن تكون هي الذَّاكرة أو التَّذَكُّر، بل هي التَّرَقُّب أو الانتظار، والرَّجاء أو الاشتياق"».[1]

أما شعبان عبد الحكيم فيقول: «التعريف الجامع المانع للسيرة الذاتية ضرب من المحال، ومرجع ذلك طبيعة هذا النوع الأدبي الذي ينفر، من التجنيس، وفيها يعرض المؤلف (صاحب السيرة) لحياته الواقعية، في أسلوب أدبي، أو علمي متأدب، وفي أشكال فنية متعددة قد يتخذ الشكل الروائي، أو الشكل المقالي، أو الاعترافات، أو المذكرات، أو الذكريات... إلخ، كل ذلك في نسق متآلف، فيعرض لمراحل حياته المتعاقبة، وتطوره الفكري

[1] المرجع السابق، ص26.

والوجداني والروحي والعقبات التي واجهته...إلخ، فتتنوع أشكالها، وتتداخل معالم الأنواع الأدبية فيها.»[1]

مما سبق يظهر لنا أنه لا يمكن وضع تعريف دقيق للسيرة الذاتية، لأن ذلك مما يستحيل، وهذا عائد إلى طبيعة هذا الأدب، حيث يفصل الكاتب في تقديم حياته الشخصية بصفة واقعية دون إضافة الخيال، ويتخذ أشكالا متعددة، وتتداخل معالم الأنواع الأدبية فيها.

2.2 دوافع كتابة السيرة الذاتية:

يعيش الإنسان تجارب متباينة بين الانتصار والإخفاق، ويمر بمحطات تزيده تبصّرا وحنكة، مما يجعل البعض يفيض نضجا، ليصبح مضطرا إلى البوح والاعتراف، فيحمل القلم ويفضي بخفاياه، يقول إحسان عباس: «إن كل سيرة فإنما هي تجربة ذاتية لفرد من الأفراد، فإذا بلغت هذه التجربة دور النضج، وأصبحت في نفس صاحبها نوعاً من القلق الفني، فإنه لابد أن يكتبها. والناس مهما يطل عليهم الأبد وتختلف أحوالهم هم أحد رجلين: رجل وصل إلى حيث يؤمل وانتصر على الحياة وصعابها، وأحسن التخلص من ورطاتها وشعابها، ورجل كافح حتى جرحته الأشواك وأدركه الإخفاق. وكلا العاملين، أعني الوصول والخيبة، يبلغان بالتجربة حد النضج على شرط واحد: هو اكتمال التصور لأطراف هذه التجربة ورؤيتها عند التطلع إلى الماضي، على أساس من نظرة ذاتية خاصة، ولولا هذا الشرط لكان كل إنسان قادراً على أن يكتب سيرة حياته. وإنك لتستمع إلى أشخاص يقصون عليك قصصاً

[1] شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (رؤية نقدية)، عماد الدين للنشر والتوزيع، ط1، 2015م، ص13.

من أحداث حياتهم، يمتعك سماعها ويبعث فيك شيئاً من النشوة، ولكنهم يعجزون عن أن يكتبوها سيرة كاملة، لأنهم يعجزون عن أن يروا مكانهم من الحياة، ولا يرى الإنسان مكانه بوضوح إلا إذا أصبحت تجاربه ذات وحدة متكاملة، وكانت لديه قاعدة فلسفية يتقابل بها وجهاً لوجه مع حقائق الوجود الأخرى؛ وهذا فرق أصيل بين الفنان وغيره، وهو سر تفرده في الحياة، كما أنه سر سعادته أو شقائه، أعني ما يصيبه من وصول أو خيبة. ولست أقول إن التجربة في الحياة لا تكون إلا روحية، ولكن التجارب الروحية من أشدها حثاً على كتابة السير الذاتية، ومن أكثر الحوافز خلقاً للسير الذاتية الجميلة؛ ومن هذا القبيل اعترافات القديس أوغسطين واعترافات تولستوي، والانصهار الروحي الذي صوره الغزالي في "المنقذ من الضلال" ومذكرات ماري بشكرتسيف Marie Bashkirseff، وتلي هذه السير القائمة على أساس روحي ما كان صورة لصراع فكري، وهنا تكون السير أقرب النماذج إلى التجرد في الحكم والصدق في الخبر، ومن هذا القبيل سيرة جون ستوارت مل، وسيرة المؤرخ الإنجليزي جبون، وسيرة أدمند غوس Edmund Gosse التي سماها "الأب والابن" وصور فيها صراع جيلين مختلفي الاتجاه والنظرة والميول. وكل هذا يضع هذه السير الذاتية في مرتبة أعلى من أنواع أخرى منها، يكتبها بعض الصحفيين والبحارة والممثلين وأناس اتصلوا ببعض الرجال العظماء فهم يحققون وجودهم عن طريق تاريخ تلك الصلات.»[1]

تتعدد دوافع كتابة السيرة الذاتية بتعدد المقاصد، كما أشار إليه عبد العزيز شرف في قوله: «تشترك دوافع عديدة مختلفة في إيجاد السيرة الذاتية، وقلَّما يكون وراءها دافع واحد

[1] إحسان عباس، فن السيرة، ص102 وما بعدها.

فقط، ولكن من الممكن أن نحدِّد الدافع الرئيسي بين هذه الدوافع؛ فقد تكون السيرة الذاتية من قبيل الاعترافات، والدافع الرئيسي وراءها هو تخفيف عبء الشعور بالذَّنْب الذي يُثْقل كاهِل صاحبها. ومن أشهر أمثلة هذا الشكل اعترافات القديس أوغسطين (حوالي عام ٣٩٩)، والتي عُرِف بصفة عامة أنها أول مثال لسيرة ذاتية حقيقية، استحثتها في الغالب الرَّغبة في سرد الخَطايا تخفيفاً للشعور بالذنب. والسيرة الذاتية الروحية لجون بنيان John Bunyan بعنوان: "النِّعمة تفيض على كبير الخطاة Gras abounding to the chief of sinners" (١٦٦٦).

وقد تكون السيرة الذاتية من قَبيل الدِّفاع الذي يحاول فيه الكاتب أن يُصَرِّح بمسار حياته ويُبَرِّره، أويُبَرِّر عملاً خاصا قام به من أجلها. ويمثل السّيرة الذّاتية للتَّبرير كتاب بيتر أبيلار Abelard Peter بعنوان: "تاريخ نكباتي History of My Calamities"، الذي كتبه بعد عام ١١٠٠ وروى فيه قصته الحزينة الذائعة الصيت مع هيلواز Heloise. وكتاب الكردينال جون هنري نيومان John Henry Newman Cardinal بعنوان "Apologia pro Vita Sua" (١٨٦٤) الذي عرض فيه تاريخه الروحي، والذي يعد تحفة أدبية.

وقد تكون السيرة الذاتية عملاً استكشافياً، وتُمَثِّلها جَيِّدًا "السيرة الذاتية Autobiography" لجون ستيوارت مل John Stuart Mill (١٨٧٣)، والتي تعالج بهدوء أزمة روحية في حياته. والسيرة الذاتية التي كتبها إدموند غوس Edmund Gosse بعنوان:

"الأب والابن Father and Son" (١٩٠٧)، وتُعَدّ اختباراً صريحاً مُدْهِشاً لعلاقته الخاصة بوالده.

والدّافع للسيرة الذاتية كثيراً ما يتم إرضاؤه، لا في السيرة الذاتية بمعنى الكلمة فحسب، بل أيضاً في عمل أدبي له أهمية شخصية أكثر من المعتاد. وقصة "دافيد كوبرفيلدDavid Copperfield" لتشارلز ديكنز Charles Dickens(١٨٤٩-١٨٥٠) هي إعادة إبداع واضحة لبواكير حياة المؤلف، كما هي الحال في رواية "صورة الفنان شابًّا A Portrait of the Artist as a Young Man" (١٩١٦) تأليف جيمس جويس Jamse Joyce. ورواية "انظري نحو الوطن يا ملاكي Look home Ward, Angel" (١٩٢٩) تأليف توماس وولف Thomas Wolfe.»[1]

ويرى إحسان عباس أن: «بين المتحدث عن نفسه وكاتب السيرة الذاتية فرق كبير، فالأول لا يزال كلما أمعن في تيار الحديث يثير شكنا، والثاني يستخرج الثقة الممنوحة له منا، خطوة أثر خطوة؛ ولذلك كان الأول شخصاً عادياً أو أقل من العادي في نفوسنا، أما الثاني فشيء مغاير له تماماً، لاعتقادنا أنه لم يكتب سيرته لملء الفراغ فحسب، وإنما كتبها لتحقيق غاية كبيرة؛ أبسطها الغاية التي ذكرها سبنسر في سيرته وهي أن يجعل كتبه واضحة لمن يقرؤها؛ أو ليعرف الناس بالكتب التي ألفها والتي يزمع تأليفها ...

وكاتب السيرة الذاتية قريب إلى قلوبنا، لأنه إنما كتب تلك السيرة من أجل أن يوجد رابطة ما بيننا وبينه، وأن يحدثنا عن دخائل نفسه وتجارب حياته، حديثاً يلقى منا أذناً واعية،

[1] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص45 وما بعدها.

لأنه يثير فينا رغبة في الكشف عن عالم نجهله، ويوقفنا من صاحبه موقف الأمين على أسراره وخباياه؛ وهذا شيء يبعث فينا الرضى، وقد يأسرنا فيحول أنظارنا عن نقد الضعيف والواهي في سرده، ويحملنا على أن نتجاوز له عن الكذب، ونتقبل أخطاءه بروح الصديق، وإذا أدى الكاتب هذه المهمة فقد رضي أيضاً عن نفسه لأن دوافعه إلى التحدث هي الدوافع التي تحدو صاحب السر إلى الإفضاء بمكنونات صدره، دون تحرج أو تأثم. وقد يكون العالم الداخلي الذي يطلعنا عليه صورة لصراعه مع الحياة، في الأحوال التي يعدها الناس طبيعية عادية، وقد يكون نتيجة لفترات الاضطراب والحرب ومظاهر الاستبداد، والثورات، فهذه العهود مجال خصب تظهر فيه السير الذاتية بغزارة ...»[1]

هناك فرق شاسع بين المتحدث عن نفسه والكاتب عن نفسه (السيرة الذاتية)، فعندما يتحدث شخص عن ذاته فإنه لا يحدث تأثير في القارئ عكس الذي يكتب عن تفاصيل حياته فإنه يؤثر في المتلقي بشكل كبير، حيث يستنتج أن هذا الأخير لم يكتب تلقائيا وعفويا فقط وإنما كتب لتحقيق غاية معينة والوصول إلى هدف ما، وهذا يختلف من كاتب لآخر بحسب قصة حياته والرسالة التي يود أن يوصلها للمتلقي.

وقد تتباين تلك الدوافع بين العقلانية والعاطفية التي تعلل اختيار الإنسان لكشف جوانب من حياته، وطرحها للعلن، يقول خليل الشيخ: «لقد انبثقت من تلك الإشكالية مسألة أخرى تعكس في أحد مستوياتها علاقة الأنا بعالمها. وتتمثل هذه المسألة في الدوافع لكتابة السيرة الذاتية. لقد حاول العديد من الباحثين تعليل نشوء هذه الظاهرة بمجموعة من التحوّلات

[1] انظر، إحسان عباس، فن السيرة، ص.ص 101.99.

الفلسفية والفكرية وهو تعليل صحيح بطبيعة الحال؛ لكن الطابع الفردي لتدوين السيرة والشروع في بلورتها يظلّ مسألة فردية فما الذي يدفع المرء كي يكتب سيرته وينشرها؟ وما الذي يغريه للبحث في ذكرياته ليستعيدها ويبوح بها؟ لقد بيّن جورج ماي أنّ هذه الدوافع تنقسم إلى قسمين، عقلانية (كالرغبة في التبرير، والإدلاء بشهادة) وعاطفية (كالرغبة في التباري مع الزمن، وفي عثور المرء على معنى لوجوده). وهي دوافع معقولة لولا أنّها لا تسري على هذا اللون من الكتابة، بل تكاد تشكّل دوافع الإبداع والكتابة عموماً.»[1]

وأما محمد صالح الشنطي فيرى أن: «هناك دوافع متعددة لكتابة تاريخ الحياة أبرزها:

أ- الدفاع أو الاعتذار كما فعل حنين بن إسحاق، والرغبة في الكشف عن رؤية الكاتب للحياة والوجود بعد طول تأمل ومعاناة كما فعل الرازي في "السيرة السلفية"، والتنفيس عما ألم بالنفس من توتر وكدر كما هو الحال في "الأيام" لطه حسين، والوعظ والإرشاد كما في "الطائف المنن" للشعراني، وتصوير الجانب الفكري وما انتابه من تحول وتطور كما فعل العقاد في "حياة قلم"، وما إلى ذلك من أهداف.

ب- استرجاع المنعطفات الهامة في حياة الشخصية وماتستدعيه من تفاصيل، ثم العودة إلى ما دونه الكاتب من مذكرات، وما احتفظ به من وثائق ومقتنيات، وترتيب ذلك في نقاط رئيسية تشكل الهيكل البنائي للسيرة الذاتية.

[1] خليل الشيخ، السيرة والمتخيَّل : قراءات في نماذج عربية معاصرة، دار أزمنة للنشر، ط 1، 2005م، ص10 وما بعدها.

ج- اختيار القالب المناسب لكتابة السيرة الذاتية، فقد أحصى بعض الباحثين ثلاثة قوالب لكتابة الترجمة الذاتية:

* القالب الروائي حيث يصور الكاتب حياته في شكل روائي مباشر دون إلغاز أو إخفاء مبينًا السبب الذي حدا به إلى اختيار هذا القالب، وذلك دون انسياق وراء مقتضيات الفن الروائي، وما يستلزمه من تحوير وتعديل.

* منهج المقالة: يعنى بتقرير الحقائق الخاصة بحياته وشرحها وتفسيرها وتحليلها، وقد يلجأ الكاتب إلى هذا المنهج تحت ضغط الضرورة التي لا تفسح له المجال لاختيار سبيل آخر كرغبته للدفاع عن نفسه وتبرئتها مما نسب إليها.

* المنهج المزدوج الذي يجمع بين التصوير والتقرير، حيث يلجأ الكاتب إلى أحدهما حين يرى أنه من الأنسب اختيار هذا الأسلوب دون غيره، ومعظم كتاب الترجمة الذاتية يلجؤون إلى هذه الطريقة.»[1]

وقد يكون الألم دافعا لكتابة السيرة الذاتية، يقول عبد العزيز شرف: «وفي العصور التي تزدهر فيها كتابة السِّيرة الذاتية، يصبح الألم دافعا إلى كتابتها من بين الدوافع المُؤثِّرة؛ إذ إن الألم هو الذي يضطر الذات إلى أن تخلع على حياتها معنى. وما كتابة سِيرة من السِّير الذاتية إلا بهدف أن يَخْلَع الكاتب على حياته معنى. ولذلك ينسب كثير من الناس إلى الألم دورا هاما في صميم حياتهم؛ إذ تصبح التجارب الأليمة التي يعانيها المرء ثروة باطنة

[1] محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية، ط5، 1422هـ/2001م، ص220 وما بعدها.

تذخرها الذات للمستقبل، وتتسلَّح بها ضد ما يَسْتَجِّد من الهجمات. ويمكن القول إجمالاً إن الألم كدافع لكتابة السِّيرة الذَّاتية "أداة فعّالة تزيد من خصب حياتنا الروحية، وتعمل على صقل شخصيتنا، ولكن بشرط أن نجعل منه تجربة ذاتية تزيد من عمق حياتنا الباطنية، وتكون أداة "تربية أخلاقية" لنفوسنا.»[1]

ويرى شعبان عبد الحكيم أن: «للسيرة الذاتية غاية يهدف صاحبها من وراء كتابتها قد تكون توكيداً للذات، أو تنفيساً عن انفعالات، أو حالة نفسية ألمت به، أو تبريراً لموقف غير مستساغ صدر منه، أو دفاعاً عن قضية فكرية، أو اجتماعية ألمت بها...إلخ.»[2]

ويقول في موضع آخر: «نخلص من هذا بأن كتابة السيرة –كأي عمل في الحياة– نابع من دافع داخلي في أعماق صاحبه، أو قل دوافع عدة، أولها إطلاع المتلقي على تجربته المؤلمة في الحياة، منفساً عن أشجانه وآلامه، وليثبت للجميع قدرته على تجاوز الصعاب، وأنه لم يصل إلى ما وصل إليه إلا بالجهد والمشقة والعناء، ناهيك عن حب الإنسان للحديث عن نفسه خاصة إذا كان صاحب الحديث (أقصد كاتب السيرة هنا) قد وصل إلى مكانة من المجد والتقدير، فيطربه ثناء الناس عليه، حتى ولو كان في صورة غير صريحة يلمسها صاحبها ويستشفها استشفافاً ألم يقل الشاعر القديم (حب الثناء طبيعة الإنسان) وإلى جانب هذا الدافع (العام) تنفيس صاحبها عن همومه وآلامه ومشاركة الآخرين له في هذه الهموم، وازدياد مكانته في نفوسهم، بعد تيقنهم من عظمة نضال صاحب السيرة

[1] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص17 وما بعدها.

[2] شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (رؤية نقدية)، ص13.

حتى وصل إلى ما وصل إليه، هناك دوافع أخرى، لكل سيرة دافعها الخاص بها، الذي يأتي نتيجة لظروف حياة صاحبها، والعوامل التي أحاطت به فكتب سيرته.»[1]

تعددت دوافع كتابة السيرة الذاتية ما بين الذاتي والموضوعي، وتبقى الغاية واحدة وهي مشاركة الغير للذات الكاتبة بما عايشته من آمال وآلام، في محاولة منها للتنفيس بفعل البوح غير الملزم والاعتراف الإرادي.

3.2 وظيفة السيرة:

يعمد كاتب السيرة الذاتية إلى توكيد النفس وإثبات الذات ثقافيا، وتبيان ميزاتها التي تجعل منها جديرة بالقراءة والاهتمام الجمعي، ومن ثمّ «تقوم السيرة الذاتية بوظيفة مزدوجة. إنها، من ناحية، فعل "تحصين"، باستخدام مصطلح نيلسون جودمان. بمعنى، إننا نتمنى أن نقدم أنفسنا للآخرين (ولأنفسنا) بوصفنا "توكيدا ثقافيا" نموذجيا أو مميزا بشكل ما. أي أن نقدم حالاتنا وأفعالنا المتعمدة في ضوء "السيكولوجيا الشعبية" المتأصلة في ثقافتنا.

عموما، نضحك على ما هو مضحك مبدئيا، ونأسى لما هو محزن مبدئيا. هذه مجموعة "المعطيات" في الحياة. ليست هناك فردية، ليست هناك ذات حديثة. نحن ببساطة مرايا لثقافتنا. لتأكيد الفردية (وأنا أتحدث عن الثقافة الغربية فقط)، نركز على ما هو، في ضوء علم النفس الشعبي، استثنائي (ومن ثم جدير بأن يُحكَى) في حيواتنا.»[2]

---

[1] المرجع السابق، ص97 وما بعدها.

[2] جينز بروكمبير و دونال كربو، السرد والهوية: دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة، ص55.

إن ما يقدمه الفرد في أدب السيرة الذاتية هو مرآة عاكسة لحياته ومجتمعه، وذلك على حسب القضية التي يعالجها في عمله الأدبي، حيث يسرد محطات من حياته الشخصية، ويعالج فيها مختلف جوانبها بما تحتويه من آمال وآلام.

ومن وظائف السيرة الذاتية تحقيق التوافق والاتزان في حياة الإنسان، إذ تساعده على الحفر في الماضي مستغلا حاضره بما يخدم المستقبل.

يقول عبد العزيز شرف «السيرة الذاتية: تُصوّر لنا أبعاد كاتبها الثلاثة من خلال رؤياه هو: الداخل، والخارج، والأعلى. ونذكر هنا تشبيه "لاشلييه" الحياة الإنسانية بشجرة السنديان الكبيرة؛ إذ يقول: "إنه كما أن لهذه الشجرة جذورا مُتَأَصِّلة في أعماق التّربة تستمد منها الغذاء الحي الكامن في الأرض، وساقا ضخمة تنقل هذا الغذاء إلى أعلى حيث النور والهواء، فكذلك للموجود الإنساني حياة شخصية باطنية تستمد منها حياتُه الخارجية كل ما هي في حاجة إليه من غذاء، وهذه الحياة الخارجية بدورها مرتبطة بالحياة العليا التي لابد لها من أن تتفتّح فيها وتؤتي ثمارها.

ولو أننا فصلنا الواحدة منها عن الأُخريين، أو الواحدة عن الأخرى، لما قامت للحياة البشرية عندئذ أية قائمة ؛ لأنها في هذه الحالة سرعان ما تذبل وتجف، ثم لا تلبث أن تتلف وتفنى. أما إذا أعدنا إلى تلك المجالات الثلاثة استمرارها وانتظامها، فهناك لابد من أن تجري الحياة حارّة دافقة في عروق الوجود الإنساني؛ وبالتالي فإنه لابد من أن ينعم الإنسان بالتوافق والاتزان".

وفي هذا التشبيه تجسيد لوظيفة "السيرة الذاتية" حينما تحقق لكاتبها التوافق والاتّزان؛ إذ تُيسّر له أن يعيش حياته الداخلية والخارجية والعليا من خلال ذكرياته؛ والكشف عن أسرار حياته الباطنية؛ وتأمّل ذاته العميقة، بما فيها من ثراء داخلي، يمثّل عالما أصغر .»[1]

4.2 تداخل السّيرة وأشكال أدبية أخرى:

تتقاطع السيرة الذاتية مع أشكال أدبية أخرى، خاصة تلك التي اتخذت من الكشف عن الذات مادة لها، يقول عبد العزيز شرف: «يُظهرنا هذا التَّطور على وجود أشكال أدبية لها صلة بالسّيرة؛ ولذلك يجب أن نُمَيِّز السِّيرة الذّاتية كشكل أدبي عن تلك الضروب الخاصّة بالكشف عن الذّات المرتبطة بها ارتباطًا وثيقًا؛ وهي، كما تقدّم، اليوميات diary، والمفكِّرة اليومية joural، والمذكرات memoirs.

واليوميات سِجِلٌّ للتجربة اليومية، والحِفاظ على عملية حياة المرء بالذات، دون نظر إلى التَّطور الذي يحاكي نموذجًا مُعيَّنًا، أو التَّواصل القصصيّ، أو الحركة الدّراميَّة نحو ذروةٍ ما ... وكل الأشكال المتَّصِلة باليوميات والمفكرة اليومية والسيرة الذاتية يمكن أن تندمج معاً؛ لتحقيق استعراض كامل بصفة خاصة لحياة المرء أو جزء منها. ومن أحسن الأمثلة لمثل هذا الاندماج رواية "بيت الموتى" لفيودور دستويفسكي، الذي هو رواية خاصة شخصية للسنوات الأربع التي أمضاها في سيبيريا؛ تنفيذاً لعقوبة وقّعت عليه، ونجاته في آخر لحظة عام ١٨٤٩ من الموت أمام فرقة الإعدام رَمْياً بالرَّصاص.»[2]

---

[1] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص6 وما بعدها.

[2] انظر، المرجع نفسه، ص.ص 45.43.

كما «عرف أدب السيرة أشكالا مختلفة كاليوميات الحميمة والمذكّرات والرسائل والسيرة الذاتية. فإذا نظرنا من الوجهة الأدبية إلى هذه الأنماط وجدناها تختلف:

أولًا، في نسبة المادي إلى العقلي، أي في نسبة المرئيات والأحداث والأشخاص مقابل الأفكار والمشاعر.

ثانيًا، في التنوع والسعة تبعا للفرص والتجارب التي عرفها الكاتب ولمستوى اهتمامه وفكره.

ثالثًا، في مقدار توافر العوامل الأخلاقية فيها، كقوة الذاكرة وأمانتها وصدق الكاتب وتوازنه وصراحته في الكشف عن مكنوناته وأفكاره.

رابعًا، في المستوى الفني الناشئ من اختلاف مهارة الكتّاب في اختيار ألفاظهم وتنسيق موادهم وإقامة العلاقة بين السبب والنتيجة واستخلاص صورة موحّدة لحالات متكرّرة.»[1]

لقد انفتح أدب السيرة الذاتية على الأجناس الأخرى الأدبية منها وغير الأدبية، على سبيل التداخل الأجناسي، كاليوميات، المذكرات والرسائل ...إلخ، غير أن كل هذا لا ينفي أن للسيرة الذاتية خصائص ومميزات تستقل بها عن غيرها.

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص13.

3. الرواية السيرذاتية:

يكتب الإنسان المبدع قصة حياته في محاولة منه إلى إيصال بعض محطات حياته إلى الآخرين، مزاوجا بين واقعية تفرضها السيرة، وتخييل يكسبها طابع الرواية، يقول عبد العزيز شرف: «إن "حياة" الإنسان قد تبدو له مثل "قصة" يرويها للآخرين، وكأنّ من طبيعة "الحياة" أن تتخذ طابع الرواية المسرودة أو القابلة للسّرد.

وفي ذلك تفسير لطبيعة "السّيرة" الذاتية " خاصّة، حيث تضرب كفن في أعماق الطّبيعة الإنسانية إجمالاً، فمهما يكن من صعوبة التَّوحيد بين "حياتي" و"قصة حياتي" – على نحو ما أرويها للآخرين – فإن الذي لا شكّ فيه أن المرء يجد متعة كبرى في "الحديث عن نفسه"، و"رواية تاريخ حياته". وقد يكون ثمّة خلاف بين "حياتي" على نحو ما أرويها، و"حياتي" على نحو ما عشتها. ولكن هذا الخلاف ليس إلا صورة من صور الاختلاف القائم بين "القول" المسرود أو الحدث المروي من جهة، و"الخبرة" المعاشة أو "التجربة الحيّة" من جهة أخرى.»[1]

من معالم التجريب في الرواية الجديدة توظيفها لهاقي الأجناس الأدبية وغير الأدبية الأخرى بما يخدمها ويكسبها طابعا خاصا ، وما ذاك إلا لمرونتها وقدرة استيعابها لغيرها من الأجناس، وتداخلها مع السيرة الذاتية من جملة تلك التزاوجات والتداخلات الأجناسية ، يقول عبد الله إبراهيم: «السيرة الروائية كتابة مهجنة من نوعين سرديين معروفين، هما السيرة

[1] عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، ص2.

والرواية. ولا يقصد بالتهجين معنى سلبيا، إنما المقصود به التركيب الذي يستمد عناصره من مرجعيات معروفة، وإعادة صوغها على وفق قواعد مغايرة. في السيرة الروائية يدمج الخطاب بين الروائي والراوي، فهما مكونان متلازمان لعلامة جديدة هي السيرة الروائية.لا يفارق الراوي مرويّه، لا يجافيه، ولا يتنكر له إنما يتماهى معه، يصوغه، ويعيد إنتاجه طبقا لشروط مختلفة عن شروط الرواية والسيرة.

والسيرة الروائية هي نوع من السرد الذي يتقابل فيه الراوي والروائي، ويندرجان معا في تداخل مستمر ولا نهائي، يكون الروائي مصدرا لتخيلات الراوي، فالكيان الجسدي والنفسي والذهني للروائي يشرح في السيرة الروائية، ويعاد تركيبه، فالتجربة الذاتية تشحن بالتخيل.»[1]

أما خليل الشيخ فيقول: «لقد عبّر كثير من الروائيين عن سيرتهم في إطار ما عرف برواية السيرة الذاتية. وإذا كان هذا يعكس ما يسميه جابر عصفور مرونة هذا اللون من الكتابة، وعدم انغلاقه في قواعد تجنيس صارمة، فإنّه يشير إلى ما يسمّيه باول دي مان بالذات المموّهة في السيرة الذاتية عموماً لأنّ الذات تلجأ وهي تكتب سيرتها إلى ما يسمّيه فولفغانغ إيزر، بالخاصية التخييليّة التي لا تنتمي إلى الواقع الذي يعاد إنتاجه في النص، ولا تنفصل عن ذلك الواقع في الوقت نفسه. وفي الإطار نفسه تتبلور رواية التكوّن الذاتي Bildungsroman وهي وثيقة الصلة برواية السيرة الذاتية، وإن كانت أكثر انشغالاً بما

[1] عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، طبعة جديدة موسعة، 2008م، ص411.

يدور في أعماق الشخصية من تفاعلات تؤدي إلى ارتقاء الشخصية، وصعودها على نحو يذكّر بمجاهدة المتصوّفة في مدارج السالكين. لهذا كانت رواية التكوّن الذاتي لوناً من الرحلة أو التجوال الذي يقود إلى رؤية الإنسان لذاته واكتشافه لها وبلورة ما تحمله من معنى. ولكنّ رواية السيرة الذاتية ورواية التكوّن الذاتي ليستا منفصلتين عن ذلك الجدل الذي أشير إليه بين الذاكرة والخيال، لأنّ قوّة الخيال وهي تسمّى بالألمانية Einbildungskraft تشكّل نقطة جوهرية في الفلسفة الألمانية المثالية وهي الطاقة المحركة التي تصنع تلك الرحلة ودلالاتها، مثلما هي القوة التي تمزج في رواية السيرة الذاتية بين التجربة ولحظات التعبير الروائي عنها.»[1]

الرواية بطابعها التخييلي، والسيرة بصدقها، يشكلان نوعا بينيا هجينا، يتوارى وراءه المبدع، لتجده متخفيا من كل مراقبة، يقول محمد بوعزة: «تربط معظم النظريات جنس الرواية بمفهوم التخيَل، وبالمقابل تربط السيرة الذاتية بالواقع. تتبني السيرة الذاتية على تصريح الكاتب بأنه يحكي حياته ويعرض مسار أفكاره ومشاعره. هذا التصريح يشكل ما يسميه "فليب لوجون" بميثاق السيرة الذاتية. بالمقابل تتبني الرواية على ميثاق تخيَلي يصرَح فيه الروائي بأن ما يحكيه هو من صنع التخيَل، وأي تشابه بين الأحداث والواقع هو محض صدفة.»[2]

[1] خليل الشيخ، السيرة والمتخيَّل: قراءات في نماذج عربية معاصرة، ص11 وما بعدها.

[2] محمد بوعزة، تحليل النص السردي– تقنيات ومفاهيم–، الدار العربية للعلوم، الرباط، ط 1، 2010م، ص32.

إن كتابة السيرة الذاتية على شكل رواية لها ميزاتها الفنية التي تميزها كجنس مستقل، وإن جمع بين جنسين مختلفين ومتباينين خاصة ما تعلق بالجانبين التصريحي والتلميحي، يقول عبد الله إبراهيم: « التجارب الذاتية بكل تنوعاتها ومكوناتها وعناصرها وأمشاجها الوقائعية أو الفكرية كانت تستثمر بوصفها مكونات جزئية في بناء عالم متخيل شامل، وتوظف حينما يعاد إنتاجها طبقا لمقتضيات ذلك العالم وحاجاته الفنية، فالمادة الفنية تندمج في المادة التخيلية مشكلة المتن الذي يؤلف نسيج العمل الروائي، ومع ذلك فإن هذا العالم المجازي لا يتقبل أحيانا كل أجزاء تلك المادة فتظهر أفكار الروائي على لسان الراوي بما يشكل نوعا من السرد الكثيف الذي يفصل نسبيا بين الراوي وما يروى ويظهر الراوي بوصفه قناعا للروائي، ولكنه قناع يفضح أكثر مما يخفي، ذلك أن بعض الروائيين يكونون أكثر ميلا، وهم تحت ضغط تجاربهم الذاتية والفكرية، لخرق السياج الذي يحتمي خلفه الراوي، فتنهار الحواجز بين الروائي والراوي، وتطفو على السطح نبذ من تجارب الروائيين، وشذرات من أفكارهم، وفي حالة كون التجربة شديدة الحضور، يواكب السرد مسارها، ويقدمها بكل تشعباتها.»[1]

إن كتابة السيرة الذاتية وإخراجها مخرج الرواية يعد مسلكا انتهجه عديد الأدباء، يقول أندريه موروا: «إن الدور الرئيسي الذي لعبه فن مثل فن السيرة الذاتية في إنعاش الرواية العربية دور لا ينكر، بل إنه يكاد أن يشكل العمود الفقري لهذا الفن الوليد، منذ بداياته الأولى في "علم الدين" لعلى مبارك، التي لم تكن إلا جانباً من "أصداء السيرة الذاتية" لتجربة

[1] عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، ج2، ص416.

هذا العالم الأديب الرائد، حاول التشكل في ملامح الرواية الأولى، وصولاً إلى آخر تجليات هذا الفن متمثلاً في "أصداء السيرة الذاتية" لنجيب محفوظ، ومروراً بكل إبداعات كبار الأدباء الذين حاولوا تجربة كتابة الرواية؛ فبدأوا في تشكيل سيرتهم الذاتية في شكل روائي، كما هو الشأن مع محمد حسين هيكل في زينب، والعقاد في سارة، وتوفيق الحكيم في عودة الروح، وإبراهيم المازني في إبراهيم الكاتب، وطه حسين في الأيام وأديب، ونجيب محفوظ في الثلاثية... وغيرهم من الأدباء الذين برزوا في الرواية وكان جزء من محاولاتهم يدور حول سيرتهم الذاتية, أو برزوا في جوانب أدبية أخرى وكانت زياراتهم القليلة لعالم الرواية مغلفة بقناع السيرة الذاتية.»[1]

لقد اتخذ الكتاب العرب المحدثون من الرواية السيرذاتية ملاذا لإيصال تجاربهم الحقيقية، في مراوغة منهم للقارئ الذي يجد نفسه تائها بين الصدق المرجعي والصدق الرمزي، يقول تيتزرووكى: «فإن الكتاب العرب المحدثين –على نحو خاص–يكتبون كلا من رواية السيرة الذاتية (أو الأدب الروائي الذي يتناول السيرة الذاتية بمعنى أشمل) والسيرة الذاتية بشكلها الواضح (الصريحة)، وأحد الأسباب المحتملة لذلك هو أن أي شكل من الاثنين منفردا، سوف يمكِّن الكاتب من تقديم رؤية متكاملة لتجربته الذاتية في الحياة، وترى أن الشكلين يمكن أن يكونا الأكثر صدقا في تقديم هذه التجربة؟

[1] أندريه موروا، فن التراجم والسير الذاتية، ترجمة وتقديم وتعليق: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د.ط، 1999م، ص11 وما بعدها.

من زاوية أخرى يمكن أن نقول إن السيرة الذاتية التي تعتمد مبدأ الدقة هي الأكثر صدقا من الرواية التي تعتمد مبدأ الخيال، والفارق بينهما هو الفارق بين الصدق المرجعي والصدق الرمزي، لكن السيرة الذاتية العربية عادة ما تجعل ذلك افتراضا نسبيا وعلى الأخص عندما تكون الطفولة هي الموضوع، حينذاك قد يكون بُعد كاتب السيرة الذاتية عن الأحداث والأفعال سببا في أن يجد القارئ صعوبة في تصديق زعمه (الصريح أو غير الصريح) لقول الحقيقة.»[1]

هناك علاقة بين السيرة والرواية ، وتداخل بينهما بإرادة الروائي أو بطريقة لا إرادية، فالخيال وإن كان من لوازم الرواية وأسسها، إلا أن جانب الصدق الذي يحيل إلى السيرة له حضوره أيضا، وعليه فالرواية مزيج من التخييل والصدق، بمعنى أن الصدق السيري مغلف بالخيال الروائي، يقول حسين المناصرة: «هناك دراسات ومقالات كثيرة، ومقولات وإشارات عديدة، وباع نقدي طويل وعريض في مجال مقاربة الرواية بصفتها خطاباً سيرياً ذاتياً أو واقعياً أو إحالةً وإيحاءً إلى مرجعية المبدع والواقع والكون، ومن ثمّ لا بدّ من أن يكون الخيال (Fiction)بصفته بؤرة توصيف أية رواية حاضراً دوماً وبفعالية وملازما لأي خطاب روائي حتى وإن كان هذا الخطاب سيرياً مئة بالمئة؛ على اعتبار أنّ الخيال قد يكون مهمشاً أو غائباً، فتكون الرواية في المحصلة مجرد سيرة ذاتية اخترقها هذا الخيال؛ على طريقة إدوار

[1] تيتزروولكي، في طفولتي : دراسة في السيرة الذاتية العربية، تر: طلعت الشايب، مراجعة وتقديم: رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002م، ص96.

الخراط الذي يقر بأن كل رواياته تنضوي تحت سقف السيرة الذاتية التي اخترقها الخيال؛ مقتحماً أو متسللًا على السواء، ويشاركه في هذا الرأي كثير من الروائيين.»[1]

ويقول في موضع آخر: «لا يعني هذا التداخل الحميمي والأصيل واللعبي والماتع بين السيرة والرواية أن يغدو وعي التناص الإبداعي المنطقي المشروع بينهما نهجاً مبتذلاً أو تلاصاً أو ما إلى ذلك؛ وإنما هو نهج جمالي متقدم على المستوى السردي المتجدد إلى حد بعيد؛ فما نعتقد أنه في الأساس سيرة ذاتية فعلية (Autobiography) أو هو بُعد سير ذاتي (Autobiographical) على المستوى الظاهري، قد يتحول إلى بنية سردية روائية عميقة، من منظور أنّ الحياة نفسها مع واقعيتها–كما أسلفت–قد تغدو من الناحية الترميزية وهماً أو تخييلاً أو بنية غرائبية أو أكذوبة ومن ثمّ أكثر خيالاً أو ثراءً إبداعياً من الخيال نفسه!!.

من هنا لا قيمة أدبية فنية أو جمالية لأية سيرة ذاتية مهما كانت درجة مصداقيتها وجرأتها وواقعيتها ووثائقيتها، إن لم تكن بنية أدبية سردية روائية في صميمها الجمالي؛ خاصة أنّ كل إنسان واعٍ في الحياة يمتلك تجربة حقيقية لسيرة ذاتية شخصية ومعيشية؛ بإمكانها أن تكتب وتنشر في كتاب أو عدة كتب؛ لكن أمر جماليات الكتابة تختلف بين سارد وآخر على حد تعبير الشاعر الإنجليزي كولردج الذي يقول: "إن حياة أي إنسان مهما كانت تافهة ستكون ماتعة إذا رُويت بصدق"؛ أي أن العبرة–في المحصلة– تكمن فيمن يمتلك موهبة الكتابة وجمالياتها؛ ليكتب لنا سيرته الذاتية– على الرغم ضحالتها أحياناً– في سياقيها

[1] حسين المناصرة، وَهَجُ السَّرْد: مقاربات في الخطاب السردي السعودي، عالم الكتب الحديث، إربد–لبنان، ط1، 1431هـ/2010م، ص94 وما بعدها.

الجماليين الكفيلين بنجاحها: أولهما سياق جماليات السيرة الذاتية المنبعثة من توقعات أو وثوقية حضور الذات الساردة من خلال صدقها الفني مع مشروعية وجود التدليس المطمور أو غير المفضوح؛ حيث تتأكد مسألة التطابق أو التوافق النسبي بين السارد والراوي والشخصية في السيرة وثانيهما سياق جماليات السيرة الذاتية بصفتها خطاباً سردياً على علاقة حميمة من جهة نسيجها الإبداعي بالرواية والشعر؛ كانفتاح السيرة على جماليات الرواية في استغلال آليات بنائها الفني بما في ذلك الخيال، وانفتاحها على الشعر من خلال الصور والإيقاعات والحذف، وما إلى ذلك.»[1]

لقد أضافت الرواية للسيرة جمالية فنية، ولذلك قد تختلف السير من حيث الجمالية على حسب الراوي أو السارد لها وعلى حسب مخزونه الثقافي واللغوي كذلك، ومبني كذلك على قدرة الكاتب بالتلاعب في سرد الأحداث ومزجها مع بعضها بطريقة فنية رائعة، وهذا الأمر يختلف من كاتب لآخر.

أما هويدا صالح فيقول: «إن كل رواية، إن لم نقل كل عمل فني، يتضمن بالضرورة عنصرا من سيرة مؤلفهـ وما خاضه من تجارب، ولهذا السبب يشكك بعض النقاد في وجود نوع السيرة الذاتية نفسه، وينظر آخرون إلى "كل نص له صفحة عنوان بصفته نوعا من السيرة الذاتية". أضف إلى هذا أن رواية السيرة الذاتية أو ما يسمى بـ "السيرة الذاتية الروائية" تحتل مكانة رفيعة في تاريخ القص الحديث، لا في القص العربي وحده وإنما في كل ثقافات العالم، والأمثلة كثيرة، من جويس إلى بروست، ومن فرجينيا وولف إلى مارجريت دورا...إلخ.

[1] المرجع السابق، ص95 وما بعدها.

وما من شك أن "العنصر السير ذاتي قد قاد إلى ثورات مهمة في تاريخ النوع الروائي، لاسيما مع بروز علم كالتحليل النفسي، وتقنية سردية كتيار الوعي".»[1]

وهناك من يرجع السيرة إلى الرواية، لتوافقهما في العناصر المكونة لكل منهما، مما يضفي عليهما طابع الاشتراك، كما يقول حسين المناصرة: «إذن، لم تكن جماليات السيرة الذاتية في يوم من الأيام ما بثة فيما تنجزه تاريخياً، أو واقعياً، أو صدقاً وثائقياً وجرأة، أو تعرية للذات والواقع وكشفاً عن المسكوت عنه فيهما فحسب؛ وإنما هي حالة سردية إبداعية؛ تجعل السيرة الذاتية مولودة من الوهم والتخييل أي من رحم الرواية بكل ما تمتلكه الرواية من عناصر فنية؛ بحيث لا تتحقق أدبية السيرة الذاتية إلا من خلال روائيتها، كما أن روائية الرواية لا يمكن أن تتحقق على المستوى النفسي العميق وآلية الكشف والفضح للتابوهات إلا من خلال الحفر في سيرية مبدعها المعيشية والثقافية والفكرية والجمالية.»[2]

إن صياغة السيرة في شكل روائي، وإخراجها في قالب الرواية السيرذاتية يزيدها جمالية وإمتاعا، يقول شعبان عبد الحكيم: «هناك أعمال راعت هذا الملمح الفني (المواءمة بين عرض حياة صاحبها والتقنيات الروائية) فجاءت نموذجا للسيرة الذاتية الروائية في طزاجة النص ونبضه الفني، ذلك لأن صياغة السيرة في شكل روائي يكون أكثر إمتاعا وتأثيرا في النفوس، لما يتصف به النص الروائي من التصوير، والتجسيد للمواقف والأحداث،

[1] هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب : قراءة سوسيوثقافية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2015م، ص246 وما بعدها.

[2] حسين المناصرة، وَهَجُ السَّرْد: مقاربات في الخطاب السردي السعودي، ص97.

والشخصيات، واستبطان الذات، وتصوير مشاعرها وأحاسيسها الدف يزة، وانفعالاتها المتضاربة، وصراعها مع الواقع المعيش، ذلك الصراع الفني الذي يعطي العمل الفني حيوية، ونبضا، وروعة، وجمالا، فالصراع جوهر العمل الفني، ومنبع ثرائه وجماله الفني.»[1]

ومهما يكن في محاولة الجمع بين السيرة والرواية إلا أن هناك فوارق تميز أحدهما عن الآخر، خاصة بين كاتب الرواية وكاتب السيرة، حيث يجد كلاهما نفسه ملزما بما تمليه عليه الضوابط الخاصة بكل جنس، يقول شعبان عبد الحكيم: «أما الفرق بين السيرة الذاتية والرواية والمسرحية، فإن كاتب السيرة الذاتية يعتمد على الذاكرة واستبطان الذات والبوح النفسي مصوراً انفعالاته ومشاعره الدفينة إزاء هذه المواقف التي تصور سيرة حياته، أما كاتب الرواية أو المسرحية فهو يعتمد على التخيل، فالأول يلتزم الحقيقة، والثاني يترك المجال للتصور والخلق، لذا صار كاتب السيرة الذاتية "يعاني من صعوبات الفنان المبدع الخلاق على نحو أشد صعوبة، وفي صورة أكثر تعقيداً منها، فإنه يلزم جانب الحقيقة التزاما صارماً، وإنه يعاني حين يكتب ترجمته الذاتية في صورة روائية صعوبة أشد مما يعاني الروائي أو، المسرحي". وكاتب السيرة الذاتية ملزم بالمواءمة بين الالتزام بالحقيقة، وبالتقنيات الفنية للسرد الأدبي ليجعل من عمله عملاً أدبياً أكثر وقعاً، وتأثيراً في النفوس.

وهناك فارق آخر بين كاتب السيرة الذاتية والكاتب الروائي، فالأول يلزم الترتيب الزمني في سرد تاريخ حياته، مصوراً مراحل حياته المتعاقبة (بناءً هرمياً) أما الكاتب الروائي فليس ملزماً بهذا البناء في عمله الأدبي، فقد يستخدم هذا البناء (الهرمي) أو يبدأ الأحداث

[1] شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (رؤية نقدية)، ص199.

من نهايتها (الفلاش باك) أو يتبع طريقة البناء المتزامن للأحداث، فقد يبدأ أحداث روايته بالماضي فالحاضر فالمستقبل، ثم يعود إلى الماضي، ثم يسبق الأحداث إلى المستقبل، ثم يقف على اللحظة الآنية .. وهذا يعمل على تداخلات الأزمنة وتقاطعها، وفي استخدام البناء المتزامن للأحداث، يبدو الكاتب وكأنه ينسج في التو/ الآن، وتستشف من رواية الأحداث أن الراوي لا يعرف ما سيحدث، وأنه يتلقى الحدث بعين، ويبثه للقارئ بالعين الأخرى ، ويختلفان –أيضاً– كما ذكرت في أن كاتب السيرة الذاتية ملزم بسرد حقائق حياة صاحبها، على خلاف الرواية كفعل تخيلي من البداية، وإن اشتركا (كاتب السيرة الذاتية والروائي) في إحداثاللذة الجمالية لدى المتلقي، من خلال حسن صياغة عملهما الأدبي، ورصدهما لدخائل النفوس وأشجانها، مما يثير المشاركة والتعاطف من المتلقي، لأنه يرى نفسه في فكر ومشاعر الآخرين، وقد فطن إلى ذلك هوجو في قوله: عندما أحدثك عن نفسي، أحدثك عن نفسك، وغير رشيد من ظن أنني لست أنت.»[1]

بالرغم من الفوارق بين السيرة والرواية إلا أن كليهما يستثمر من الآخر، يقول صالح معيض الغامدي: «الرواية في أبسط تعريفاتها "نص سردي تخيلي"، أما السيرة الذاتية فهي في أبسط تعريفاتها أيضاً "نص سردي توثيقي حقيقي"، فالفرق يكمن في كون الرواية تخيلية الأحداث والشخصيات، وبالتالي لا تطابق فيها بين الراوي/البطل والمؤلف، أما السيرة الذاتية فهي حقيقية / واقعية الأحداث والشخصيات ويتطابق فيها المؤلف مع الراوي/ البطل. لكننا نعتقد أن الاعتماد على الأسلوب أعني الأبعاد الشكلية والتقنيات السردية وحده في التفريق

[1] المرجع السابق، ص24 وما بعدها.

بين هذين الجنسين الأدبيين لن يكون مسعفاً وربما يكون أحياناً غير مجد. فكثير من الروايات توظف بعض التقنيات السردية السيرذاتية، وكثير من السير الذاتية تستثمر هي أيضا بعض الأساليب السردية الروائية بما فيها الخيال. ومن هنا جاء جنس ما يسمى "برواية السيرة الذاتية" أو "السيرة الذاتية الروائية" أو "الرواية السيرذاتية"...إلخ، وهي مصطلحات يكثر استدعاؤها في الدراسات النقدية التي وقفنا عليها.»[1]

لقد بين لنا هذا القول العلاقة الموجودة بين الرواية والسيرة الذاتية، وقد قام أيضا بوضع تعريف بسيط ومفيد في نفس الوقت لكل منهما، ليزيد من دعم آراءه على أن هاتين الأخيرتين تشتركان في تعريف واحد، ولكنهما تختلفان في عنصري الواقع والخيال، فالأولى مبنية على عنصر الخيال والتخييل في سردها لأحداث وتوظيفها لشخصيات خيالية بعيدة كل البعد عن التطابق مع الراوي والبطل، والثانية تعتمد على حقائق ووقائع حقيقية، وتبنى على أساس سرد حياة ومغامرات الراوي نفسه ليتطابق الراوي هنا مع الشخصية البطلة.

وعن تلك الفوارق بين الرواية والسيرة أيضا، وكيف يمكن الجمع بينهما على سبيل التزاوج الأجناسي، أن: «الرواية السيرذاتية هي "جميع النصوص التخييليّة التي قد يجد قارئها أسباباً تدفعه انطلاقاً من عناصر تشابه يعتقد اكتشافها، إلى الارتياب في وجود تطابق بين الشخصية والمؤلّف في حين فضّل المؤلّف نفي هذا التطابق أو امتنع على الأقل عن تأكيده" .(Lejeune,1975)

[1] صالح معيض الغامدي، كتابة الذات : دراسات في السيرة الذاتية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 2013م، ص126.

فهذا النوع من الروايات يدفع قارئه إلى أن يتلقى النصّ تلقّياً مزدوجا يلتبس فيه التخييليّ الروائيّ بالمرجعيّ السيرذاتي. فالرواية السيرذاتية ليست سيرة ذاتيّة إذ لا يتوافر فيها التطابق بين الراوي والشخصيّة والمؤلّف تطابقاً تامّاً صريحاً كما هو الحال في السيرة الذاتيّة. والرواية السيرذاتيّة، مثلها مثل سائر ضروب الكتابة الروائيّة، منغرسة في التخييل يستثمر مؤلّفوها المسافة السرديّة الفاصلة بين الراوي والشخصيّة والمؤلّف لخلق عالم روائيّ واسع الآفاق متشابك الأبعاد ينحو إلى الاستقلال عن الواقع التاريخيّ المرجعيّ، أمّا عالم السيرة الذاتيّة فهو لا يني يحيل إلى الواقع الخارجيّ التاريخيّ، ويوهم بالتطابق معه تطابقاً قد تتفاوت حظوظه من الصدق والقدرة على التعرّي والاعتراف. ومع ذلك فلا وجود لسيرة ذاتيّة لا تدّعي هذا التطابق بالارتكاز على ذات المؤلّف نفسه، والاقتصاد في اللجوء إلى التخييل، والاستجابة لمتطلبّات واقع المؤلّف، والسعي إلى إلقاء نظرة إلى الوراء فيها توقّف وكشف عمّا خفي في الماضي من خصائص الذّات وحقيقتها، ومحاولة خلق تفسير وترابط لما كان غامضاً من الأحداث وشتاتاً. وممّا يمنع اعتبار هذا الضّرب من الروايات سيراً ذاتيّة خلوّه مما يسمّيه فيليب لوجون بـ"الميثاق السيرذاتي" وهو الشرط الأساسيّ الذي لا تكون دونه سيرة ذاتيّة. ففي الرواية السيرذاتيّة لا يعلم المؤلّف قارئه بنيّته تدوين سيرة حياته ولا يؤكّد التطابق بينه وبين الراوي والشخصيّة.»[1]

[1] محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010م، ص218 وما بعدها.

أما هويدا صالح فيقول: «وقد كانت العلاقة بين السيرة الذاتية والسرد السيرذاتي أو ما يسمى بالسرد السيري ملتبسة ولم يحسم النقد موقفه من كلا الجنسين، فالسيرة الذاتية الصريحة ليس لها وجود كبير في ثقافتنا العربية، وذلك بسبب تلك القيود التي يفرضها المجتمع على الكاتب حين يعمد إلى كتابة سيرته الذاتية، وتاريخه الشخصي، لذا يعمد الكتاب غالبا إلى تسريب خطابات السيرة الذاتية ومضامينها إلى أجناس أدبية أخرى، وذلك تحاشيا وتجنبا لإرجاع السيرة الذاتية إلى كاتبها الواقعي، أو المؤلف (شخص الكاتب)، وليس المؤلف الضمني، وما ينتج عن ذلك من أحكام وتقييم سالب للكاتب، فيفر إلى ما يعرف مثلا برواية السيرة الذاتية، أو السرد السيرذاتي، أو يتخفف من بعض اشتراطات كتابتها، كالسرد بضمير الغائب، أو اللجوء إلى التعديل والحذف.»[1]

ومنه فالخناق القوي الذي يفرضه المجتمع على كتاب الرواية السير ذاتية، مما يؤدي بالكثير منهم لإخفاء خطاباتهم السيرذاتية خلف أجناس أدبية أخرى، أو اللجوء إلى الكتابة بضمير الغائب، أو غيرها من الأساليب التي تبعد عنهم الأنظار، بغية تجنب المضايقات من طرف القراء أو النقاد على عمله أو بالأحرى على حياته كون عمله ليس إلا بمرآة عاكسة لسيرة حياته.

مما سبق ذكره يتضح لنا أن الرواية والسيرة جنسين متباينين، لكل منهما خصائص وضوابط تميزه عن الآخر، إلا أن الرواية المعاصرة وبفعل التجريب تمكنت من احتواء السيرة والاستثمار فيها، حيث يعمد الروائي إلى توظيف آلياتها، جامعا بين ما هو متخيل روائي وما

[1] هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب: قراءة سوسيوثقافية، ص243.

هو صدق سيري، ليتمخض عن هذا التزاوج هجينا سرديا يعرف بالرواية السيرذاتية، والتي من خلالها يبوح الإنسان الأديب بما يختلج سريرته ويعتري دواخله، متحصنا بهذا السرد الهجين من المراقبة المجتمعية، متخفيا إما بالسرد بضمير الغائب، أو باللجوء إلى التعديل والحذف مع السرد بضمير الأنا.

الفصل الثاني:

السرد السيري

في رواية "تشرّفت برحيلك" لفيروز رشام

1. الميثاق:

تتسم الرواية بالتخييل، في حين أن السيرة الذاتية تتخذ من الصدق أساسا تقوم عليه، والمزج بين التخييل والواقع في الرواية السيرذاتية ضرب من ضروب التجريب في الرواية على سبيل التداخل الأجناسي، والقرينة في ذلك الميثاق أو العقد المبرم بين الراوي والقارئ، الذي يتخذ الشكل الضمني تارة والشكل الجلي تارة أخرى، يقول فيليب لوجون: «يمكن لتطابق الاسم بين المؤلف، السارد والشخصية، أن يتحقق بطريقتين:

ضمنياً:

على مستوى العلاقة مؤلف–سارد، بمناسبة ميثاق السيرة الذاتية، ويمكن لهذا الأخير أن يأخذ شكلين:

أ. استعمال عناوين لا تترك أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى اسم المؤلف (قصة حياتي، سيرة ذاتية، الخ).

ب. مقطع أولي للنص يتحمل فيه السارد التزامات أمام القارئ وذلك بالتصرف مثل المؤلف، بطريقة تجعل القارئ لا يحمل أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى الاسم القائم على الغلاف، وإن كان هذا الاسم غير وارد في النص.

بطريقة جلية:

على مستوى الاسم الذي يأخذه السارد – الشخصية في المحكي نفسه، والذي هو نفس اسم المؤلف المعروض على الغلاف.

ومن الضروري أن يتحقق التطابق على الأقل عن طريق إحدى هاتين الطريقتين، وفي الغالب ما يتم ذلك عن طريقهما معاً في الوقت نفسه.

في مقابل ميثاق السيرة الذاتية، يمكننا أن نطرح الميثاق الروائي الذي سيكون له، هو أيضاً، أولهما تطبيق جلي لعدم التطابق (إذ لا يحمل المؤلف والشخصية نفس الاسم)، والثاني تصريح بالتخييل (العنوان الفرعي رواية على العموم هو الذي يؤدي اليوم هذه الوظيفة على الغلاف، مع ملاحظة أن رواية تعني، في المصطلحات المعاصرة، ميثاقاً روائياً، في حين أن مصطلح محكي غير محدد ومنسجم مع ميثاق السيرة الذاتية).»[1]

يقول خليل شكري هياس عن أهمية الميثاق التي تحيل المتلقي إلى تحديد الجنس الأدبي، ومن ثمّ رسم معالم القراءة: «تأتي أهمية الميثاق في كونه نوعا من العقد يبرمه المؤلف مع القارئ، يتم بموجبه تحديد نوع القراءة.»[2]

1.1 الميثاق الروائي: نقصد به ما يكتب على الغلاف تحديدا للجنس الأدبي (رواية).

يقول محمد صابر عبيد: «لا شك في أن وضع صفة تجنيسية معينة على غلاف الكتاب أمر ينطوي على قدر عال من القصدية والتعيين، ولا يمكن للقارئ المتفحص أن

[1] فيليب لوجون، السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي، ص38.

[2] خليل شكري هياس، سيرة جبرا الذاتية في (البئر الأولى وشارع الأميرات)، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2005م، ص12.

يتجاوز هذا الميثاق وأن يتفادى فحصه على نحو دقيق، استنادا إلى معطيات المتن بين دفتي الكتاب، وقد وصفه الكاتب بصفة أجناسية معينة.»[1]

ومن مميزات هذا الميثاق اختلاف الروائي عن الراوي في الاسم، وكذا الإقرار بالطابع التخييلي للعمل الروائي، يقول خليل شكري هياس: «وينعدم فيه التطابق بين اسم المؤلف على الغلاف واسم الشخصية في النص والإقرار بالطابع التخييلي.»[2]

وقد ورد في معجم السرديات ما نصه: «فأهم ما يميز التخييل الذاتي من الرواية السير ذاتية أن الشخصية الرئيسية في الرواية السيرذاتية شخصية تخييلية لا تطابق بينها وبين المؤلف، ولكنّ المؤلف لا ينفك يقرب بينها وبينه ويعقد أواصر قرابة وتشابه معها. أما في التخييل الذاتي فإنّ الشخصية الرئيسية متطابقة في الهوية مع المؤلف، غير أنّ ما تعيشه في القصة من أحداث وما تتخذه من مواقف بعيدان عن سيرة المؤلف وما عاشه في الواقع المرجعي.»[3]

2.1 الميثاق السير ذاتي: يحيل الميثاق السيري القارئ إلى أن الروائي والبطل يتقاسمان ما يحدث داخل النص الروائي، يقول حسن بحراوي: «التأكيد على التطابق بين المؤلف والبطل والرجوع بكل شيء إلى الاسم الشخصي المكتوب على الغلاف.»[4]

---

[1] محمد صابر عبيد، تأويل متاهة الحكي (في تمظهرات الشكل السردي)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية–سوريا، ط1، 2007م، ص23.

[2] خليل شكري هياس، سيرة جبرا الذاتية في (البئر الأولى وشارع الأميرات)، ص21.

[3] محمد القاضي وآخرون، معجم السرديّات، ص79.

[4] حسن بحراوي، أنساق الميثاق الأوطوبيوغرافي – السيرة الذاتية بالمغرب نموذجا، مجلة آفاق المغربية، المغرب، العدد 3–4، 1984م، ص44.

إن اكتشاف الميثاق بغية التحقق من هوية النص يتجلى في:

"* الدوافع المعلنة في مقدمات الكتب.

* ذكر الأسماء، وتاريخ الميلاد، والأصل، والنسب، ومراحل التعليم.

* ذكر الممارسات الاجتماعية، كالوظيفة والانتماء السياسي ...إلخ أو ذكر العلاقات بالشخصيات ذات المكانة الاجتماعية المعروفة.

* الرسائل المتبادلة، والخطابات الرسمية، والمقالات الصحفية، والأعمال الإبداعية المذكورة بالنص، ومقطوعات من يوميات أو مفكرات قديمة، والصور الشخصية.»[1]

إن الشخصية البطلة في رواية "تشرفت برحيلك" تسمى "فاطمة الزهراء زيتوني" هي نفسها كاتبتها ومؤلفتها وهذا من المؤشرات التي تؤكد أن الرواية هي في الأصل سيرة ذاتية، والدليل على ذلك قولها: «راجعت ما كتبت، ونقحته، وسميته: "تشرفت برحيلك".»[2]

وقولها أيضا: «بعد أشهر قليلة صدر الكتاب باسمي الكامل والحقيقي "فاطمة الزهراء زيتوني"، فمن الجبن أيضا أن أنشر باسم مستعار.»[3]

نجد شخصية فاطمة الزهراء تلمح في روايتها على أن قصة الرواية هي فعلا قصة حياتها، وذلك كان في كل فرصة تسنح لها، ووظفت لذلك العديد من المؤشرات، منها نجد إجابتها على الصحفية التي تبادلت معها أطراف الحديث، والتي طلبت منها أن تحدثها عن

[1] أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط 1، 2005م، ص209.

[2] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط2، 2019م، ص243.

[3] المصدر نفسه، ص 244.

قصة كتابها، فالإجابة كانت «قصة كتابي هي أيضا قصة حياتي، وقصة حياتي هي قصة مجتمع، وقصة المجتمع هي في النهاية جزء من التاريخ، ولا أعرف كيف أفصل بين كل هذا.»[1]

وهذا دليل واضح على أن كل أحداث الرواية حقيقة وهي أحداث عاشتها كاتبنا ودونتها على شكل رواية سير ذاتية.

وهكذا بدأت فاطمة الزهراء تتماثل للشفاء من جراحاتها النفسية والجسدية، وعملت على استرجاع ثقتها بنفسها ، وما ارتاحت حتى أخذت بنصيحة السيدة زكية والسيدة كريمة بتطوير المخطوط الذي كتبته عن قصة حياتها إلى رواية أسمتها "تشرفت برحيلك". وبهذا الخصوص نجدها تصرح قائلة: «يمكنني القول الآن بأنني تصالحت مع نفسي ومع تاريخي ، وبأنني تعافيت من جل أمراضي النفسية والعقلية والجسدية. وما داوتني العقاقير الكيميائية ولا الجلسات النفسية إنما داوتني الكتابة! ومعجزة المعجزات كلها، أنها ساعدتني على الشفاء من السرطان!»[2]

«بتهدت فاطمة الزهراء وقالت:

من أين سأبدأ الحكاية؟

من يوم ميلادي الذي ربما لم يكن سعيدا، لأن لا أحد أخبرني لاحقا أنه فرح بقدومي. أو من يوم أدركت أنني في الحقيقة لم أكن قبلاً حية، إنما كنت فقط على "قيد

[1] المصدر السابق، ص5.

[2] المصدر نفسه، ص246

الحياة"! أم من يوم متّ وشبعت موتًا حتى انفجرت فجأة شهيتي للحياة بكل كياني وعنفواني وجنوني!»[1]

«دار بيني وبين كريمة حوار عميق جدا، انتهى باتخاذي قرارا لا رجعة فيه: سأنشر قصة حياتي!!»[2]

«من فرط فرحتها عانقتني كريمة:

– وأخيرا التقيت بامرأة شجاعة تكتب وتنشر عن الموضوع الذي تحكي عنه النساء سرا. نقّحي عملك، وضعي له عنوانا، ولا تذكري أحدا باسمه، وأنا سأتدبر لك كاتبة ماهرة وسريعة لطبع العمل، وسننشره في أقرب وقت.»[3]

«بعد أشهر قليلة صدر الكتاب باسمي الكامل والحقيقي "فاطمة الزهراء زيتوني"، فمن الجبن أيضا أن أنشر باسم مستعار.»[4]

وإن كان الاسم المستعار دليلا على المؤلف، وله من الميزات ما للاسم الحقيقي، إذ يعتبر الولادة الثانية التي هي الكتابة المنشورة ، كما يقول فيليب لوجون: «الاسم المستعار اسم يختلف عن اسم الحالة المدنية، يستعمله شخص واقعي من أجل نشر كل كتاباته أو بعضها. فالاسم المستعار اسم مؤلف. فهو ليس اسماً زائفاً بكل تأكيد، بل اسم علم، اسم ثان، تماماً كالاسم الذي تأخذه راهبة عندما تدخل الرهبانية. ومن الأكيد أن الاسم المستعار

[1] المصدر السابق، ص6.
[2] المصدر نفسه، ص243.
[3] المصدر نفسه، ص243.
[4] المصدر نفسه، ص244.

يمكن في بعض الأحيان أن يخفي خداعات أو أن يُفرض نظراً لوجود بواعث للكتمان: ولكن يتعلق الأمر عندئذ، في أغلب الأحيان، بـإنتاجات معزولة، ولا يتعلق قط بعمل يعتبر نفسه سيرة ذاتية لمؤلف ما. إن الأسماء المستعارة، على العموم، ليست لا سراً خفياً، ولا خداعاً، فالاسم الثاني حقيقي كالأول، ويشير فقط إلى تلك الولادة الثانية التي هي الكتابة المنشورة. وبكتابة سيرته الذاتية، فإن المؤلف الذي يستخدم الاسم المستعار، يمنح هو نفسه أصل هذا الاسم: هكذا.»[1]

2. الشخصيات:

يقول طه وادي: «الشخصية Character تعد الشخصية بمثابة العمود الفقري للقصة، أو هي المشجب الذي تعلق عليه كل تفاصيل العناصر الأخرى، لذلك قيل: "القصة فن الشخصية"، أي هي ذلك النوع الأدبي الذي يخلق شخصيات مقنعة –فنيا– بدورها داخل عالم القصة، وهي في كل ما تقوم به من أفعال وأقوال، يجب أن تكون ممكنة الحدوث أو التماثل مع واقع الحياة اليومية التي يحياها البشر بالفعل. والقاص البارع هو الذي يستطيع أن يخلق شخصيات (متفردة).. ذات ملامح فنية خاصة، تجعل الشخصية خالدة في ساحة الأدب العظيم..!!»[2]

أما لطيف زيتوني فيرى أن: «الشخصية الروائية هي، غالبا، كائن مصنوع من صفات بشرية وأعمال بشرية. لهذا تتشابه الشخصية الروائية والكائن البشري، ولهذا أيضا

[1] فيليب لوجون، السيرة الذاتية:الميثاق والتاريخ الأدبي، ص35 وما بعدها.

[2] طه وادي، دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط3، 1994م، ص25.

تختلف الشخصيات الروائية الواحدة عن الأخرى في الصفات والأعمال والأدوار والأهمية كما يختلف أفراد البشر.»[1]

فاطمة الزهراء: شخصية هادئة محبة للعلم، عاشت مع أهلها في بيتهم العائلي، ولم تتحدث فاطمة الزهراء عن مرحلة طفولتها، ولم تذكر كيف قضتها، بل اكتفت بقولها: «من أين سأبدأ الحكاية؟ من يوم ميلادي الذي ربما لم يكن سعيدا، لأن لا أحد أخبرني لاحقا أنه فرح بقدومي.»[2] وكأنها تشير بذلك إلى أنها قضت طفولة ليست بالسعيدة بل إنها عاشت التعاسة، ونقص الدلال والحنان.

نجدها تنتقل مباشرة إلى مرحلة التعليم الثانوي حيث نجدها فتاة مراهقة مفعمة بالحياة، تحب المطالعة والقراءة، لطالما أزعجتها عقلية أخويها اللذ ين التحقا بالجماعات الإرهابية، وهذا ما أثر سلبا على شخصيتها وعلى نفسيتها، ورغم القهر الذي عاشته، إلا أن شخصية الفتاة الرومانسية كانت تنمو وتكبر بداخلها، عرفت بشغفها بالأدب شعرا ونثرا.

وقعت في حب زميل لها والذي بادلها نفس الشعور، وهذا الأمر يعد خطيئة لا تغتفر لدى الجماعات المتطرفة، فقد تعرضت بسببه إلى مضايقات من قبل أهلها، ومثال ذلك ردة فعل أخيها فؤاد الذي اكتشف أمر الرسائل الغرامية، إذ تقول: «حسبناه خرج، وإذا به في فناء الدار يقرأ الرسالة على مهل. وأنا كنت في الغرفة مع جميلة تستعرض ما أحضروه لها من هدايا عندما اهتزت أركان البيت بصراخه:

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص98.

[2] فيروز رشام، تشرفت برحيلك (رواية)، ص6.

– يا عاهرة ... يا فاجرة ... أين أنت؟،

لم تكن لدي أدنى فكرة عما حدث. جرينا أنا وجميلة نحو الباب وإذا به أمامي كالوحش الجائع، أمسك الرسالة بيد وشعري بيد أخرى وبدأ يركلني:

– ستجلبين لنا العار. أهذه هي الدراسة والعمل!

أسقطني على الأرض وبدأ يخنقني.»[1]

بعد فشلها في اجتياز شهادة البكالوريا شغلت معلمة بمدرسة ابتدائية ببلدية زموري، فقد تبخرت أحلامها في الدخول للجامعة بعدما منعها أخوها من إعادة اجتياز شهادة البكالوريا، فوافقت على التكوين في المعهد التكنولوجي للتربية الموجود في الرغاية.

تزوجت فاطمة الزهراء برجل ذي أفكار متطرفة رغما عنها، لتتحول حياتها إلى جحيم، تتحدث عن معاناتها تلك فتقول: «طبعا ليس هناك شهر عسل في البرنامج، ولا لحظة عسل، فقط أيام مرّة مرارة العلقم، تزداد مع كل يوم جديد.» [2]، وتقول أيضا: "قبل نهاية الأسبوع الأول من العمل كان قد حرّم عليّ كل مصادر البهجة والجمال: لا تنظري لأحد، لا تتكلمي مع أحد، لا تلبسي هذا، لا تتزيني، لا تتعطري، لا ... لا ... بعد أيام قليلة تغير مظهري تماما، فالسروال ممنوع، والكعب ممنوع، والعطر والكحل والماكياج ممنوع، كل شيء قد يشي بجمالي أو أنوثتي ممنوع. أمشي فقط وراءه وهو يجرني بحبل الزوجية.» [3]

[1] المصدر السابق، ص75.

[2] المصدر نفسه، ص131.

[3] المصدر السابق، ص136.

رزقت بثلاث أبناء محمد أمال ونور الهدى، كانت تتعرض للعنف من قبل زوجها وأفراد أسرته، حتى أنها أجهضت جنينها ذات يوم عصيب لاقت فيه من التعنيف ما أدى بها إلى دخول المستشفى، لي عرض عليها أبوها فكرة الطلاق، ولكنها تفضل التضحية بنفسها على أساس أن لها أبناء منه.

ازدادت معاناة فاطمة الزهراء بعد إصابتها بالشلل النصفي، بعدها فجعت بموت أبيها الذي كان ضحية من ضحايا الزلزال الذي ضرب ولاية بومرداس، وهذا ما زادها معاناة وألما.

تدهورت صحتها وأصيبت بسرطان الثدي وهو الأمر الذي أثر في نفسيتها وكسر خاطرها.

تغلبت على السرطان الذي أنهك جسدها، وظن الجميع أنها ميتة لا محالة، ولكنها تفجع أيضا بوفاة أمها.

يحاول بعد ذلك زوجها أن يقنعها بالموافقة على الزوجة الثانية، ولكنها ترفض التوقيع له، ليتطور الأمر لحد الطلاق، فيتأزم حالها أكثر، تقول: «كيف سيكون شكل حياتي الآن؟ أين سأنهي أيامي؟ أنا مطلقة يعني أنا حرة، ويعني أيضا أنا مدمرة. لا مال لدي، ولا بيت، ولا وجهة. الآن لم يبق عندي شيء أخسره، فلتكن نهايتي كما شاءت أن تكون. بعد كل هذه السنوات من حياة القفص الحديدي، أخرج كعصفور لا يعرف كيف يطير.»[1]

[1] المصدر السابق، ص229.

اتجهت نحو العاصمة بعد طلاقها حيث عملت بمدرسة ابتدائية، وعاشت وأبناؤها عند زكية، وهكذا بدأت فاطمة الزهراء تتماثل للشفاء من جراحاتها النفسية والجسدية، وعملت على استرجاع ثقتها بنفسها ، حتى أخذت بنصيحة السيدة زكية والسيدة كريمة بتطوير المخطوط الذي كتبته عن قصة حياتها إلى رواية أسمتها "تشرفت برحيلك".

في معرض الكتاب حيث كانت توقع روايتها لقرائها تلتقي بالحبيب الأول بعد الفراق، تقول عن اللحظة التي رأته فيها: «تعانقنا أجمل عناق بعد تاريخ طويل من العشق والحنين، وعلى صدره شعرت بجمرة الشوق الملتهبة تحترق في قلبينا بعد طول فراق.

دفعته من ذراعيه إلى الوراء، وتأملت وجهه مرة أخرى غير مصدقة أني أراه، ثم سحبته إلي وعانقته من جديد.»[1]

السي صالح: أب فاطمة الزهراء، وهو شخصية طيبة ومتفهمة، محبة للعلم، مؤمنة بمبدأ العدل بين البنت والولد، تصفه بقولها: «أبي رجل يقدس العلم ويبجله رغم أنه محدود التعليم، ولا فرق عنده في ذلك بين ذكر وأنثى.»[2]

نورة: أم فاطمة الزهراء، شخصية ضعيفة، تؤثر أبناءها الذكور على بناتها. تقول فاطمة الزهراء: «ما كانت أمي لتتخلى عن دفاعها على أولادها مهما حدث.»[3]، توفيت بوعكة صحية مفاجئة، تقول فاطمة الزهراء: «في هذه الأيام المريرة ماتت أمي بعد وعكة صحية مفاجئة. كانت مريضة بالضغط والسكري والكولسترول وكل أنواع العطب الجسدي

[1] المصدر السابق، ص249.
[2] المصدر نفسه، ص13.
[3] المصدر نفسه، ص45.

الناجم عن العطب العاطفي، ورغم ذلك كانت تعرف جيدا كيف تحافظ على توازنها، لكنها في النهاية لم تصمد أمام نزلة برد خفيفة!»[1]، ماتت هذه الأم ولم تعش حلم رؤية أبنائها على أحسن حال.

ناصر: زوج فاطمة الزهراء، تصفه يوم أن رأته أول مرة فتقول : «رفعت بصري من حذائه اللماع إلى وجهه، وإذا به شاب مقبول الوسامة، بذلة أنيقة بلا ربطة عنق، لحية خفيفة مهذبة، وعطر قوي لكن غير زكي. وقف أمامي وقفة مستقيمة كأنما يستعد لتحية العلم.»[2]

لكن وسامته تلك كانت تخفي الرجل المعنِّف لأتفه الأسباب، تقول فاطمة الزهراء: «يضربني في النهار ويضاجعني في الليل باسم الحقوق الزوجية ! في ذلك المساء الذي ضربني فيه أول مرة حاولت منعه لمسي، فكتم صوتي بوسادة إلى أن انقطعت أنفاسي ثم أخذ ما أراد!.»[3]

لم يقف الأمر على العنف الجسدي واللفظي فقط، وإنما تعدى إلى الاعتداء المادي، فلقد تسلط عليها ونزع لها كل مالها، ومنعها من راتبها منذ أن تزوجته إلى أن طلقها.

لم يكن ناصر السند لزوجته حتى في حال مرضها، فهو غيور وحسود لدرجة لا يمكن وصفها، تقول فاطمة الزهراء: «أخذني مرغما، وعند وصولنا اكتشف روعة المكان، مكان هادئ وجميل جمالا أخاذا. كان ناصر منزعجا جدا وهو يقدم ملفي ووثائقي عند الاستقبال، فقد حسدني على ما سأكون عليه!

---

[1] المصدر السابق، ص222.

[2] المصدر نفسه، ص102.

[3] المصدر نفسه، ص133.

بعد أن استكمل الإجراءات رافقني إلى الغرفة التي سأتقاسمها مع مريضتين، وقبل أن يغادر أوصاني بغباء:

– لا تكلمي أحدا ولا تغادري لأي مكان!

لا أفهم ممن يخاف علي هذا الرجل فهو جلادي الوحيد ! أيخاف أن أهرب منه وأنا نصف مشلولة جسديا، ومشلولة كليا ذهنيا وعاطفيا!

غادر المركز متذمرا لأن روعة المكان قد آذته...»[1]

اشترى سيارة من مالها الخاص الذي استولى عليه ولم يعرها أي قيمة ولا اهتمام، ولم تكن لتركب معه إلا نادرا.

مع استمرار معاناة هذه المرأة التعيسة ومرضها بسرطان الثدي، تتعب نفسيا وجسديا، وحاجتها للمرافقة النفسية قبل العلاج الكيماوي، إلا أن معاملة زوجها السيئة لها لم يتغير، وإنما أصبح يتأفف على إزعاجها له، ويلومها على ذلك، تحكي فاطمة الزهراء معاناتها تلك فتقول: «مرغما وكارها يأخذني ناصر إلى الطبيب. يتأفف ويتنهد ويذكرني أني أتعبته وشغلته عن أعماله. أصبح لسانه سليطا لحد لا يعقل. عندما أخذني إلى المستشفى لم أسمع منه كلمة طيبة ولا حتى دعاء بالشفاء ! تناقص عنفه الجسدي معي قليلا لأنه يتوقع بأني على الأرجح سأموت قريبا.»[2]

[1] المصدر السابق، ص177 وما بعدها.

[2] المصدر نفسه، ص188.

انشغل ناصر بعشيقته مع مرور الوقت، وقلت غيرته على زوجته وأهمل شؤون البيت، تقول فاطمة الزهراء: «ناصر مشغول بمنصبه الجديد وعشيقته الجديدة، وهو أبضا يتفادى الصدام معي. ولأنه كثرت تنقلاتي للأطباء والصيدليات أمرني ذات يوم:

– اذهبي وحدك فأنا مشغول!»[1]

أصبحت عشيقته تشغله طوال الوقت ونسي واجباته الزوجية، «منذ زواجنا لم ينم خارج البيت قط، وفي السنوات الأخيرة فعل ذلك عدة مرات، أما الآن فيتحجج دائما بالعمل ليبيت خارجا. أعرف أنها مواعيده الغرامية لكني لم أفاتحه بالموضوع.»[2]

استفاد ناصر من مال زوجته، واشترى شقة بمساندة من الدولة وأخفى الأمر عليها، لم يكن ذلك ليفاجئها طبعا، ولا إجابته لها حين فاتحته بموضوعه قائلا: «ما تزال هناك أعمال كثيرة فيه. لم يعجبني التصميم الداخلي لذا سأعيده، ثم إن علي تأثيثه. كم من الوقت والمال يتطلب ذلك برأيك؟ عندما يصبح البيت جاهزا سأخبرك.»[3]

ازداد تدهور صحة فاطمة الزهراء، وازداد تذمر ناصر من ذلك، نجدها تقول: «ناصر يترقب موتي بشغف، لأني أصبحت عبئا ثقيلا عليه ومصدرا للإزعاج.» [4]، أصبح دائم التذمر، وفكره مشتت بعد أن شغل بالعشيقة التي ما تفتأ تطلبه كل حين، تقول فاطمة

[1] المصدر السابق، ص195.
[2] المصدر نفسه، ص198.
[3] المصدر نفسه، ص200.
[4] المصدر نفسه، ص202.

الزهراء: «قبل موعد العملية بيوم أخذني ناصر إلى مستشفى مصطفى باشا متذمرا وغادر مسرعا، فهاتفه لم يتوقف عن الرنين طوال الطريق.»[1]

وكم كانت خيبة أمله لنجاح العملية الجراحية، تقول فاطمة الزهراء: «بعد عشرة أيام جاء متثاقلا خائب الظن، فهذه المرة أيضا لم أمت ! قال لي ضاحكا ساخرا بأني قطة بسبعة أرواح لذلك حتى الموت لا يقتلني!»[2]

تمادت وقاحة هذا الزوج لدرجة أنه صادفها في يوم طلوعها من المستشفى بتصريح الموافقة على الزوجة الثانية، وهذا ما رفضته فاطمة الزهراء بشدة وأجابته بقولها: «لن أوقع ولو قتلتني!»[3]

الطلاق كان مصير هذا الزواج الفاشل، تقول فاطمة الزهراء: «أريد أن يسمعني العالم ليعرف أن بذلتك الأنيقة وربطة عنقك نفاق ! وأن أدبك معهم وابتسامتك نفاق ! وأنك أسوأ الرجال وأنا سترتك خلال كل هذه السنوات!

انتفض من مكانه، ورمى هاتفه على المائدة. اندفع نحوي كثور هائج، وصفعني صفعة لم أتلق مثلها يوما:

– أنت سترتيني إذن وليس أنا من سترتك ! بدءا من هذه اللحظة أنت طالق، طالق، طالق!!! الآن ستعرفين من كان يستر الآخر!»[4]

---

[1] المصدر السابق، ص204.

[2] المصدر نفسه، ص210.

[3] المصدر نفسه، ص221.

[4] المصدر نفسه، ص226 وما بعدها.

أبناء فاطمة الزهراء: أمال هي البنت الكبرى لفاطمة الزهراء، تقول عنها: «بعد أقل من سنة أنجبت ابنتي الأولى "أمال"، والتي سميتها كذلك بحثا عن شيء من الأمل.»[1]

تتربى وتكبر هذه البنت في حضن أم محطمة، كانت هذه البنت شاهدة على كل ما يحصل لأمها من عنف واستغلال من طرف أبيها وجدتها اللذين حولا الحياة إلى جحيم، إنها بنت هادئة وخجولة، تحب الدراسة، تحملت عبء الحياة وهي في سن صغيرة، وتحملت أذى وعنف أخيها، عمها وأبيها، بعد طلاق أبويها، وبعد اجتيازها لامتحان البكالوريا التحقت بأمها بالعاصمة.

محمد الابن الأكبر لفاطمة الزهراء «عنيف، ومتطرف جدا. لا يحلق ذقنه كالشباب، وليست لديه اهتمامات مدرسية. شغله الشاغل ماذا لبست أمال، ومع من تكلمت، مع أنها بنت في منتهى الخجل والانطواء. هي منهمكة في دراستها عسى تقودها لقدر غير قدري، وهو منهمك بها.»[2]

أما نور الهدى وإسلام فلم تتحدث عنهما فاطمة الزهراء سوى أنهما كانا تلميذين في الابتدائية.

رشيد: الأخ الأكبر لفاطمة الزهراء، «ثلاثة وثلاثون عاما، متزوج وأب لطفلين، هما حسام ذو الثلاث سنوات ويوسف تسعة أشهر. لا مهنة له ولا حرفة، عمل لمدة نادلا في مقهى ثم بائعا في سوق الخضر، ومؤخرا ينوب عن أبي من حين لآخر في دكان المواد

[1] المصدر السابق، ص145.

[2] المصدر نفسه، ص201.

الغذائية العامة.»[1]، تشرب من الفكر التطرفي، وكان من المتأخرين الذين سلموا أنفسهم في إطار قانون الوئام المدني.

فؤاد: أخ فاطمة الزهراء، «أربعة وعشرون عاما، ترك الدراسة بمحض إرادته قبل أن يكمل تعليمه الأساسي، ولا شغل له سوى مراقبتي أنا وأختي جميلة وإصدار الأوامر لنا وترصد حركاتنا.»[2]، شاب غير متزوج، وبطال، عرف بفكره المتطرف وانضمامه للجماعات الإرهابية، فقد كان مطلوبا للأمن، لكنه رفض تسليم نفسه، تصف جميلة موته قائلة: «لقد جاءت الشرطة اليوم ببلاغ يفيد أن فؤاد قد قتل على يد رجال الأمن بعدما حوصر ومن معه من الذين رفضوا تسليم أنفسهم وما زالوا في نشاطهم الإرهابي في جبال الأخضرية. لقد تم التأكد لكن لن يسلمونا جثته.»[3]

علي: هو أصغر إخوة فاطمة الزهراء وأقربهم إليها، تقول: «لحسن الحظ أنه يطيعني ولا يفضحني، إنه الوحيد الذي أتفاءل به ليكون أخا لي بالمعنى العميق للأخوة، لا عدوا كسابقيه.»[4]، وهو الذي لم يتخلى عنها في مرضها وكان يزورها في المستشفى.

نصيرة: هي الأخت الكبيرة لفاطمة الزهراء، إنها شخصية رزينة وهادئة، تقول عنها فاطمة الزهراء: «أختي نصيرة أيضا توقفت عن الدراسة بعد إعادتها السنة الثامنة أساسي، وهي تكبرني بأربع سنوات. لم يطل بقاؤها في البيت فقد انهال عليها الخطاب من داخل

[1] المصدر السابق، ص7.
[2] المصدر نفسه، ص7.
[3] المصدر نفسه، ص196.
[4] المصدر نفسه، ص97.

القرية وخارجها، وفي النهاية رضت بأحدهم وتزوجت معه وهي بنت سابعة عشر عاما، ولحسن حظها فإنها تنعم بحياة هادئة وميسورة مع تاجر من مدينة قورصو البحرية الواقعة على الجانب الغربي من مدينة بومرداس.»[1]

نصيرة محدودة التعليم، تزوجت وهي لا تزال قاصرا، ومع ذلك فإنها سعيدة بزواجها، كانت سندا لفاطمة الزهراء في مرضها.

كانت مثالا للأخت الفاضلة الحنون، فقد ساعدت فاطمة الزهراء يوم كانت تعاني في صمت، وكانت هي وزوجها وأولادها من بين الحضور يوم استقبلت قراءها للإمضاء على كتابها كدعم لها وتشجيعا لما قامت به.

جميلة: أخت فاطمة الزهراء، شخصية مرحة وتحب الحياة، تحدثت فاطمة الزهراء في روايتها عنها بإسهاب، حيث ذكرتها في أكثر من موضع، فكانتا تتقاسمان الفرح والحزن معا، تقول فاطمة الزهراء: «تكبرني جميلة عمرا بسنة واحدة فقط، أما مرحا وبهجة فبعشرات السنين، فهي دائمة الضحك والتنكيت. قد تضحك على أي شيء، المهم أن تضحك. لا أدري من أين يأتيها كل هذا الفرح ولا ما سببه، لكنها غالبا ما تصيبني بالعدوى لأجد نفسي أضحك وأفرح مثلها بلا سبب.»[2]

جميلة مصدر المتعة والضحك بالنسبة لفاطمة الزهراء، مستواها التعليمي محدود، كانت ماهرة بالطبخ والشؤون المتعلقة بالبيت.

---

[1] المصدر السابق، ص13.

[2] المصدر نفسه، ص11 وما بعدها.

خطبها عزيز ولكن مراسيم العرس لم تتم بسبب اغتياله، فكانت الصدمة التي حولتها إلى جثة هامدة خالية من كل شيء يدل على الحياة، أصيبت في الزلزال الذي ضرب ولاية بومرداس، وفي الأخير «زفت جميلة بفستان أبيض كما تحلم كل النساء ، حزينة لكن متفائلة بعريسها الجديد الذي لن يأخذها بعيدا عن بومرداس.»[1]

عزيز: تحدثت فاطمة الزهراء عنه على لسان جميلة فتقول: «اسمه عزيز وهو من منطقة برج منايل، تعرفت عليه منذ ثلاث سنوات، وهو ابن خالة صديقتي هدى ابنة جارتنا، وقد التقينا ذات عيد أضحى في بيت هدى، ومنذ ذلك الحين وهو لا يفوّت أية مناسبة لزيارة خالته من أجل أن يراني، وقريبا جدا سيأتي ليخطبني.»[2]

لم يتم الزواج بينه وبين جميلة، فقد اغتيل قبل ثلاثة أيام من عرسه.

عمر: عم فاطمة الزهراء، وهو شخصية متفهمة ومثقفة، يسكن بجوار مسكن أب فاطمة الزهراء، متزوج وله أربعة بنات «يصغر عمي أبي بخمس سنوات، وهو موظف إداري بمديرية التربية لولاية بومرداس، لذا يعرف جيدا شؤون التكوين والتوظيف في قطاع التربية التعليم.»[3]، كان عونا لفاطمة الزهراء كلما استنجدت به.

خديجة: زوجة الأخ رشيد، أم لطفلين: حسام ويوسف. هي شخصية مستغلة حيث تصرح عنها فاطمة الزهراء بأنها تستغل شغف جميلة بأعمال المنزل حتى ترتاح هي وتحتج بتربية أبنائها.

---

[1] المصدر السابق، ص189.

[2] المصدر نفسه، ص53.

[3] المصدر نفسه، ص60.

تقول فاطمة الزهراء: «خديجة استغلت شغفها وظلت تتحجج بتربية ولديها كي لا تساعدها في شيء.»[1]

تأثرت خديجة بأفكار زوجها رشيد، كانت شخصية لئيمة ولطالما تبحث عن الحجج لافتعال المشاكل وتحريض زوجها على فاطمة الزهراء، وتنقل أخبارها له جملة وتفصيلا.

طارق: زميل فاطمة الزهراء، كان بينهما مشاعر وأحاسيس جعلتهما صديقين مقربين، تقول فاطمة الزهراء: «شيئا فشيئا حفظته.. حفظت وقفته المستقيمة، ابتسامته الخجولة، قميصه، محفظته، مكانه المفضل في الساحة. إنه تلميذ يسبقني بسنة، فهو في الثالثة يستعد لاجتياز امتحان البكالوريا.»[2]

اجتاز طارق امتحان شهادة البكالوريا للمرة الأولى ولم ينجح. كان إنسانا يحب الدراسة ويهوى قراءة الشعر والنثر، تطورت علاقتهما من صداقة إلى حب.

كان طارق قوي الشخصية، فقد نجح في امتحان البكارويا، ودرس بالجامعة في العاصمة قسم الإعلام الآلي. فشلت محاولة خطبته لها بعد رفض أهلها الأمر، بعدها انتقل إلى تلمسان حيث تعيش جدته، وتزوج هناك.

الشيخ طاهر: صديق طارق «رجل تجاوز الستين من العمر ولديه حكايات كثيرة عن التاريخ، والسياسة، والفن، والعشاق، والنوادر، والطرائف، وأشياء أخرى ... رجل صبور، فالصيد هواية الصابرين لا محبي السمك، وكم مرة حلّ عليه الظلام ولم تلتقط صنارته شيئا،

[1] المصدر السابق، ص12.

[2] المصدر نفسه، ص14.

ومع ذلك يجمعها بلا تذمر ليعود في الغد. إن متعة الصيد هي انتظار قدوم السمكة وليس الحصول عليها.»[1]

نادية: صديقة فاطمة الزهراء التي تقول عنها: «نادية هي إحدى زميلاتي المقربات في المدرسة، تعرف كل شيء عن حياتي منذ وصولي إلى البليدة، وهي أول من نبهني للأمر. تذكرني يوميا بأن بيتي مهدد ومالي مبدد على عشيقة زوجي، غير مستوعبة سكوني ولا مبالاتي. نادية من ذلك النوع من النساء اللواتي يمتلكن الخريطة الديموغرافية للمدينة بأسرها، تعرف كل الناس، ولديها كل الأخبار، السرية منها والعلنية.»[2]

سعاد: تعتبرها فاطمة الزهراء صديقتها الوفية وحافظة أسرارها، تصفها بقولها: «سعاد مغامرة ومتهورة، قوية وواثقة من نفسها، متحدثة جيدة ومقنعة، تعرف الجميع في الثانوية، ولا أدري كيف تفعل لتحصل دائما على ما تريد.» [3]، وتقول عنها أيضا: «سعاد مرحة وتحب الحياة، وفوق هذا نتائجها المدرسية ممتازة وطموحها أن تصبح طبيبة أطفال.»[4]

كانت فاطمة الزهراء معجبة بشخصية صديقتها سعاد، ومدى وثوقها بنفسها وكيفية تسيير أمورها، درست بكلية الطب بجامعة الجزائر، وتخصصت في طب الأطفال، كانت تحمل أخبار طارق لفاطمة الزهراء التي لم يسعفها الحظ في اجتياز شهادة البكالوريا، تقول

[1] المصدر السابق، ص83.
[2] المصدر نفسه، ص193.
[3] المصدر نفسه، ص28.
[4] المصدر نفسه، ص29.

فاطمة الزهراء: «أصبحت سعاد مرسال الحب بيننا الذي يأتينا كل شهر برسالة. رسائل أصبحت مع الوقت أطول وأرق وأعمق.»[1]

اغتيل حبيبها مراد وعاشت بعده في حزن وألم، وتردّت حالتها واستاءت، تقول فاطمة الزهراء واصفة حالتها: «في الأيام الموالية زار ملك الموت سعاد عدة مرات لكن لم يأخذها. ممددة على فراشها وقد غشي البياض عينيها، لا كلام ولا طعام ولا شراب، افتضح أمرها أمام الجميع، وعلم أهلها بما حدث بعدما استرجعوها من المستشفى ذلك المساء، لكنهم لم يعنّفوها لأنها أحبت رجلا وواعدته، فقد كان وضعها مثيرا للشفقة.

دخلت سعاد في حالة من الموت الجزئي، لم ينفع معها الأطباء ولا الرقاة. ظلت في الفراش ثلاثة أشهر تقريبا ولم تعد إليها الحياة إلا بشق الأنفس.»[2]

قررت التخلي عن دراسة الطب، والتحاقها بالقوات الخاصة لمكافحة الإرهاب، تقول فاطمة الزهراء: «سعاد التي بقيت في الفراش ثلاثة أشهر، لا حية ولا ميتة، استيقظت ذات صباح وقد اتخذت قرارا لا رجعة فيه: لن تدرس الطب بعد اليوم ! ستصبح شرطية مثل مراد، وستقاتل الإرهابيين حتى الموت!!»[3]

تحولت حياة سعاد تحولا جذريا، فأصبح حلمها مطاردة الإرهابيين والنيل منهم، لكنها «أصيبت بالرصاص أثناء تبادل للنار مع مجموعة من الإرهابيين الذين لا يزالون في نشاط

[1] المصدر السابق، ص65.
[2] المصدر نفسه، ص149.
[3] المصدر نفسه، ص150.

في مداهمة لأحد مخابئهم، وقد أمضت عدة أشهر في المستشفى العسكري بعين النعجة لكنها بخير.»[1]

«سعاد ليست أي امرأة، فهي تنادى .. "حضرات" .. بعد عدة ترقيات في عملها أصبحت الآن تقود جيشا من الرجال لتقاتل أحد أخطر الإرهابيين الذين لا يزالون في نشاط، ولن تعود إلا وهو معها حيا أو ميتا. سعاد لا تهاب الموت أزما الموت هو الذي يهابها!.»[2]

ومع كل هذا التغيير الذي طرأ عليها إلا أن حبها ووفاؤها لمراد وتقديم يد المساعدة لصديقتها فاطمة الزهراء لم يتغير.

مراد: حبيب سعاد وهو فرد من أفراد الشرطة، تقول فاطمة الزهراء: «لم تكن سعاد مرتاحة للحد الذي تصورته، فحبيبها مراد الذي تعشقه بجنون كما يعشقها هو أيضا، يمارس أخطر مهنة في جزائر التسعينات، فهو شرطي، وكم من رجال الشرطة قد اغتيلوا لحد اليوم ! إنها تعيش دوما قلقا لا يحتمل، فرجال الشرطة والدرك والجيش بالنسبة للإرهابيين هم رجال الدولة وحماتها وبالتالي يجب البدء بتصفيتهم للوصول إلى الحكم. هي أيضا لا تراه إلا قليلا منذ أن تم تحويله مؤخرا من بومرداس إلى ولاية المدية. عائلته من إحدى القرى المحاذية لجبل جرجرة في مدينة تيزي وزو، وكان في تربص في بومرداس حينما عرفته منذ ثلاث سنوات.»[3]

---

[1] المصدر السابق، ص187.

[2] المصدر نفسه، ص212.

[3] المصدر نفسه، ص63.

تحكي لنا فاطمة الزهراء عن حادثة اغتياله، فتقول: «لقد ذبحوه من الوريد إلى الوريد عندما عرفوا أنه شرطي. فقد بادر بإطلاق النار ما إن أوقفوا الحافلة، وقتل منهم واحدا وجرح اثنين، لكن لم يكن في مسدسه ما يكفي من الرصاصات لقتل عصابة من الإرهابيين المدججين بالأسلحة النارية والبيضاء. أصابوه بطلقاتهم وأسقطوه أرضا ثم ذبحوه!»[1]

كريمة: امرأة صالحة وأم لثلاثة بنات، عاشت مأساة السرطان والجفاف العاطفي، كما أنها تعرضت للعنف الجسدي. تقول فاطمة الزهراء عنها: «من النساء اللواتي مررن بهذه المصلحة منذ سنوات، والتي عادت اليوم في زيارة توعية، سيدة متوسطة العمر، مفعمة بالنشاط والحيوية، جميلة وأنيقة بحجابها العصري، بيدها مطويات توزعها على المريضات. اسمها كريمة، وقصتها مأساوية. هي أيضا عرفت السرطان، كما عرفت العنف الزوجي، وبعدما خسرت كل شيء قررت أن تفعل شيئا، فأسست جمعية خيرية، ومنذ ثلاث سنوات وهي تناضل من أجل مساندة ضحايا العنف، ونشر الوعي لدى النساء بضرورة التبليغ، والحديث عن قصصهن عوض التستر عليها.

من حين لآخر تجوب كريمة المستشفيات لتوزع على المريضات مطوياتها، خاصة في مصلحة أمراض السرطان، فهي تعرف جيدا من خلال متابعتها لمصلحة منذ سنوات، أن حالات التخلي عن الزوجات المريضات ليست قليلة. في المطوية رقم هاتفها الشخصي، وهي مستعدة للمساعدة المعنوية بأي شكل ما، أما ماديا فلا مصدر مالي لجمعيتها الفتية، وليس لديها حتى مكتب، لذا تديرها من منزلها. تطبع المطويات من مالها الخاص، وتتعاون

[1] المصدر السابق، ص149.

معها بعض النساء الشجاعات الواعيات مثلها، وكذا بعض الأصدقاء من الرجال، لحث النساء على الكلام والخروج من صمتهن التعيس.»[1]

كان فضل كريمة على فاطمة الزهراء وأمثالها جليا، كما تحكي فاطمة الزهراء أيضا أنها هي من شجعتها على تعديل مخطوطاتها ونشرها في كتاب لتعم الفائدة للجميع، والغرض من كل هذا الأمر هو توعية الناس وتحرير النساء من الخوف والبؤس الناتج عن الجبن. تقول فاطمة الزهراء على لسانها: «أعرف صديقا لديه دار نشر صغيرة، طبع لي عدة مرات مطويات الجمعية مجانا. سيطبع لنا خمسمائة نسخة فقط وأنا سأتكفل بالبقية. أريدك أن تنضمي إلى الجمعية وتشاركي في حملات التوعية، لتتحرري من خوفك وتحرري النساء معك.»[2]

زكية: تقول عنها فاطمة الزهراء: «ممرضة متقاعدة تعيش وحدها، وتؤجر غرف شقتها من أجل المؤانسة لا غير. زبوناتها عادة من النساء العازبات العاملات في العاصمة، والقادمات من ولايات أخرى، وهي تنتقي بعناية زبوناتها ولا تقبل بأي كانت.»[3]

ساعدت زكية فاطمة الزهراء وأسكنتها مدة ستة أشهر ولم تقبض منها أي نقود مقابل ذلك، فقد كانت لطيفة في تعاملها مع فاطمة الزهراء ومع أولادها.

أمين: تحدثت البطلة عن شخصية أمين كثيرا ووصفته أدق وصف، ولم تقف على هذا فقط بل ذكرته وهو تلميذ عندها ثم أعادت إدراجه في روايتها بعدما أصبح طبيبا مدربا،

[1] المصدر السابق، ص213 وما بعدها.
[2] المصدر نفسه، ص243.
[3] المصدر نفسه، ص232.

وكان متابعا لحالتها ، فقد أباه على يد الإرهابيين، وكانت مواساة فاطمة الزهراء له بلسما لأحزانه، ودافعا معنويا لمواصلة الحياة، وحافزا على تجاوز الأحزان، تقول عنه: «فرحت جدا لرؤيتي أمين يمشي منتصب القامة مشرق الابتسامة. بالتأكيد لم ينسى أحزانه، لكن الطفولة والبهجة لا تفترقان رغم قهر الأحزان.»[1]

شاء القدر أن يلتقي أمين بمعلمته فاطمة الزهراء حين مساعدته للطبيب كمتربص، وظلت صداقته وفاطمة الزهراء مستمرة حتى بعدما شفيت.

نجاة: عشيقة ناصر، «اسمها نجاة، عمرها ثمان وعشرون سنة، موظفة في مركز البريد. ليست جميلة فهي لا تشبه شيئا، لكنها تعرف جيدا ما تريد. لن تمنحه دينارا من مالها أبدا، بل هي من تلتهم ماله التهاما. تحب المطاعم الفخمة، والهدايا الفخمة، والسيارات الفخمة. تعرف بأنه متزوج ولديه أربعة أولاد، ولا يزعجها الأمر، فهي لا تريد إطلاقا أن تكون زوجة أولى في حياة رجل، إنما زوجة ثانية، بعدما أكدت التجارب أن الزوجة الثانية دائما أوفر حظا ودلالا من الأولى!»[2]

وتقول فاطمة الزهراء مقارنة بينها وبين عشيقة زوجها: «عشيقته ليست مثلي، فهي لن ترضى أبدا بشيء منقوص، تريد بيتا لها وحدها، مؤثثا ومجهزا بكل ما يلزم، ولا تريد أن تسمع شيئا عن أولاده وزوجته الأولى، أما مالها فمستحيل أن يرى منه دينارا، على

[1] المصدر السابق، ص92.

[2] المصدر نفسه، ص194.

العكس،سيخصص لها أجرا لزينتها وملابسها ومصاريفها الخاصة، وسيقبل حافر قديمها إن رغب في بعض كرمها الجنسي!»[1]

الحاجة مليكة: أم ناصر أي حماة فاطمة الزهراء، تقول فاطمة الزهراء على لسانها: «زوجي مات منذ سنوات بعد مرض طويل، أما الأبناء فلدي سبعة، أربعة أولاد وثلاث بنات. ابني الأكبر اسمه عبد الله ويعيش في فرنسا، تأتي بعده فريدة وهي متزوجة في البليدة، ثم فاتح صديق ابنك، أعني الذي جاء معنا وبقي في الفناء وهو إمام مسجد، ثم رقية وهي متزوجة في سيدس بلعباس، ثم ناصر، العريس، وهو موظف إداري في مديرية الضرائب، وبعده تأتي حفيظة الجالسة على يميني وهي عزباء، أما ابني الأصغر فاسمه رياض وهو تلميذ في الثانوية، والجالسة على يساري هي زوجة حميدة زوجة فاتح.»[2]

هي عجوز ظالمة، لطالما اختلقت المشاكل ليضربها ابنها ويعنفها. فلا مودة بين فاطمة الزهراء وحماتها، وقد بلغ اللؤم بها تمني الموت لفاطمة الزهراء بعد مرضها بالسرطان.

تقول فاطمة الزهراء: «سمعت حماتي عدة مرات تحدثه عن مرضي قائلة:

– فلانة مرضت بالسرطان وماتت بعد ستة أشهر. وفلان مرض بالسرطان ولم يعش أكثر من سنة. وفلان وفلانة كلهم ماتوا سريعا بالسرطان!»[3]

[1] المصدر السابق، ص221.

[2] المصدر نفسه، ص103.

[3] المصدر نفسه، ص210.

فاتح: وهو الأخ الأكبر لزوج فاطمة الزهراء ناصر، تصفه فاطمة الزهراء عندما رأته للمرة الأولى والتي كانت يوم خطبتها فتقول: «لم أرى في حياتي رجلا بمثل هذا القبح! لحية سوداء طويلة ومتوحشة. شامة دائرية كبيرة تميل للسواد وسط جبينه. ظفر أصبع الخنصر، الأيمن والأيسر، طويل وحاد كسكين. نظرة ماكرة خبيثة لعينين تظللها من فوق حواجب مبعثرة وكثيفة، ومن تحت تغرقان في هالات سوداء عميقة.»[1]

انضم إلى الجماعة الإرهابية، ثم استفاد من قانون الوئام المدني، وتوبته لا تؤتمن لأنه سبق وأن استفاد من قانون الرحمة ومع ذلك عاد للجهاد ثانية.

حميدة: زوجة فاتح، شخصية ضعيفة وجبانة ولا تستقوي إلا على فاطمة الزهراء.

فريدة: وهي أخت ناصر الكبرى، كثيرة التشكي، غالبا ما تغضب لبيت أهلها لأتفه الأسباب.

رقية: وهي الأخت الوسطى بالنسبة لناصر وهي إنسانة رزينة ومتعقلة، ذات شخصية راقية ومختلفة تماما عن إخوتها.

حفيظة: هي شقيقة ناصر الصغرى، مدللة في بيت أهلها، تختلق الأسباب للشجار، لم تكن علاقتها بفاطمة الزهراء حميمية.

إنها فتاة منافقة ولباسها الملتزم لا يمثلها إطلاقا، وبعد حياة عاشتها ماجنة تزوجت برجل لم تعرفه قط، وزفت إليه بلباس غير ملتزم، فستان أبيض على عكس ما ألزموا به فاطمة الزهراء من ارتداء الجلباب.

[1] المصدر السابق، ص100 وما بعدها.

تقول الساردة عنها: «زفت حفيظة بفستان أبيض عاري الصدر وفوقه برنوس أبيض شفاف كما أرادته هي وأمها، وتذكرت كيف أجبرتني على لبس الجلباب الأسود يوم زفافي!.»[1]

زوج رقية: «زوج رقية دركي ويعرف جيدا نشاط شقيقها الإرهابي منذ البداية، وقد أقسم منذ سنوات ألا يدخل بيت حماته من جديد بعد تصادمه مع فاتح بسبب فتاويه الغبية.

وهو رجل مخلص جدا، نجا مرتين من عمليات إرهابية، مرة من انفجار قنبلة على موكب الدرك، ومرة في مواجهة بالرصاص مع الإرهابيين، وفي جسده ما يكفي من آثار الجروح التي تذكره بذلك، وقد فقد عشرات الأصدقاء والزملاء في مهنته، لذا لا يتحمل لقاء فاتح.»[2]

عبد الله: وهو الأخ الأكبر لناصر، ذو شخصية منفتحة، يكره التشدد والتزمت الديني، وهذان الأمران دفعا به إلى الهجرة إلى فرنسا، إذ كان شديد النزاع مع أخيه فاتح بسبب التعسفية التي كان يفرضها على البيت كله.

تحدثت عنه فاطمة الزهراء فقالت: «عبد الله نقيض فاتح في كل شيء، منفتح، ضحوك،يحب الناس، يحب الحياة، ومتمرد كبير أيضا.

[1] المصدر السابق، ص201.

[2] المصدر نفسه، ص161 وما بعدها.

غادر عبد الله الجزائر غاضبا ساخطا لأنه لم يستطع تحمل العقلية الجديدة التي تحكم الحياة في البيت وخارجه. غادر وليس في جيبه مال أو دبلوم، وفي فرنسا تسكع طويلا، وجاع وبرد ونام في الشوارع قبل أن ينتقل من عمل لآخر ومن إقامة لأخرى.

لقد عاش عبد الله هناك متخفيا عشر سنوات، حتى حصل على وثائق الإقامة. وخلال تلك السنوات لم يفكر أبدا في الرجوع إلى الجزائر، وهو يتفرج على أخبارها الدامية في فضائيات العالم، وما جاء الآن سوى الشوق والحنين، فقد استقر منذ مدة على وظيفة، وإقامة، وصديقة.»[1]

رياض: أخ زوج فاطمة الزهراء، تتمتع هذه الشخصية بالرقة والنضوج رغم صغر سنه، فهو الابن الأصغر للعائلة، ذكرته فاطمة الزهراء في العديد من المواقف.

تعمدت فاطمة الزهراء التفصيل في شخصية رياض وإطالة الحديث عنه، لكي توفيه حقه، فقد كان بالنسبة لها الأخ والصديق.

تقول عنه فاطمة الزهراء : «وحده رياض كان قابلا للحوار والتواصل، تلميذ هادئ وذكي، لا تبدو عليه علامات التأسلم أو التزمت. هو الوحيد الذي يحييني بابتسامة عندما يراني، ويسألني دائما قبل خروجه إن كنت أحتاج لشيء. زوجي لا يفعل ذلك !.»[2]، لطالما كانت معظم شجاراته مع أخويه فاتح وناصر بسبب تعنيفهم لفاطمة الزهراء.

[1] المصدر السابق، ص190 وما بعدها.

[2] المصدر نفسه، ص131.

بقي رياض يكن الحب والاحترام لفاطمة الزهراء، كما أنه ظل م هتما لأخبارها وأحوالها، والدليل على ذلك حتى بعد زواجه كان يزورها بالمستشفى هو وزوجته.

رانيا: هي خطيبة رياض، والتي أصبحت بعد ذلك زوجته، تحدثت عنها فاطمة الزهراء ووصفتها وصفا حسيا وماديا في نفس الوقت، حيث نجدها تقول: «خطيبته رانيا، شابة جميلة وذكية، تعمل في نفس البنك الذي يعمل فيه. أصولها من منطقة القبائل لكن عائلتها مستقرة في العاصمة منذ سنوات بعدما تولى والدها إدارة إحدى المؤسسات الخاصة.»[1]

3. الزمن:

يقول لطيف زيتوني: «يختلف الزمن في السرد عنه في الحكاية، ويختلف في الحكاية، ويختلف في الحكاية عنه في الطبيعة، فالزمن الطبيعي هو خطي متواصل يسير كعقارب الساعة. أما زمن الحكاية فهو زمن وقوع الحدث قياسا إلى الزمن الطبيعي: الماضي البعيد أو القريب، المحدد أو غير المحدد، فزمن الحكاية خطي متواصل ولكن ضمن مدة محدودة ومحددة من الزمن الطبيعي. أما زمن السرد فهو زمن القص قياسا إلى زمن الحكاية. فالرواية تروي حكاية، أي أحداثا تتدرج في زمن خطي، ولكن الرواية غالبا تخالف التدرج الطبيعي للحكاية فتعود إلى ماضيها (استرجاع) أو تروي ما لم يحن زمانه بعد من أحداثها (استباق). وقد يتداخل الاسترجاع والاستباق أحدهما في الآخر، وقد تخرج الرواية عن

[1] المصدر السابق، ص197.

حدودها باتجاه الماضي أو باتجاه المستقبل (نحو حاضر الكاتب). وهناك زمن آخر يقاس به خطاب الرواية هو زمن القراءة (عدد الأسطر أو الصفحات لكل ساعة أو يوم من زمن الحكاية) ووظيفة هذا القياس هو وضع ترسيمة إيقاع النص.»[1]

يترتب الزمن وفق مستويين هما الاسترجاع والاستباق.

1.3 الاسترجاع:

ورد في معجم النقد الأدبي ما نصه: «الاسترجاع أو (التوقع السردي) Analepse هو مصطلح مختص بعلم السرد يبين في تركيبة الحبكة الروائية عودة إلى أحداث من الماضي، وهو والحالة هذه مفارقة زمانية. ويبين الاسترجاع تفاوتا بين نظام الأحداث في السرد ونظام الأحداث في عالم شبه مبتدع من قبل الرواية، وإلى هذه الأحداث تحال الأحداث الأولى.»[2]

مثال ذلك قول فاطمة الزهراء: «من يوم ميلادي الذي ربما لم يكن سعيدا، لأن لا أحد أخبرني لاحقا أنه فرح بقدومي. أو من يوم أدركت أنني في الحقيقة لم أكن قبلاً حية، إنما كنت فقط على "قيد الحياة"! أم من يوم متّ وشبعت موتًا حتى انفجرت فجأة شهيتي للحياة بكل كياني وعنفواني وجنوني!»[3]

1.1.3 الاسترجاع الداخلي:

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص99.

[2] مجموعة من الباحثين، معجم النقد الأدبي، ص27 وما بعدها.

[3] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص6.

تقول الروائية وهي تحكي عن جميلة: «غادرت جميلة المدرسة بمحض إرادتها لأنها تكره الجلوس إلى طاولة وكرسي طوال النهار كما تقول. لم تكن تبذل أي جهد لتفهم درسا أو تحفظ قاعدة، ومع ذلك بلغت السنة التاسعة أساسي. وعندما رسبت في امتحان التعليم الأساسي والانتقال إلى الثانوية قررت ألا تعود إلى المدرسة، وما كان أبي ليسمح لها بذلك لولا أن دموعها هطلت بغزارة في بداية السنة الدراسية عندما عرض عليها إعادة السنة. كان موقفا نادرا فعلا، ففي الوقت الذي ذرفت فيه مئات البنات في الجزائر الدموع من أجل مواصلة الدراسة، بكت جميلة كي لا تعود إليها! وأمام إصرارها اللعين رضخ لها أبي مهددا إياها:

– إن بقيتِ في البيت فسأزوجك لأول عريس. هل سمعت! احمرّت خجلا، وهرولت بسرعة إلى المطبخ وهي تدندن مبتسمة:

– نعم نعم سأتزوج، فهذا كل ما أريد!

أتذكر ذلك الموقف جيدا كما لو حدث البارحة فقط.»[1]

تقول أيضا مستعيدة تفكيرها المشوش حين تتذكر حبيبها طارق: «جلست ورحت أقلّب صفحات دليل الكتب الأدبية، هذه المرة أريد ديوان شعر. وجدت نفسي أقرأ نفس الصفحة مرتين لأني تذكرته .. وهل نسيته حتى أتذكره! كم يشغلني هذا الشاب ويسحرني! »[2]

[1] المصدر السابق، ص12.

[2] المصدر نفسه، ص17.

وتستعيد ردة فعلها عند سؤالها لطارق وإجابته لها بأن لديه زوجة أب ، أمّا أمه فقد توفيت: «لا أدري كيف مددت يدي على الطاولة ووضعتها فوق يده وأمسكتها بحرارة:

– فليرحمها الله. آسفة لأني ذكرتك.

شعرت أني لمست فيه أعمق جراحه، وأنه سعد بلمستي على يده.

سحب يده من تحت يدي ووضعها فوقها قائلا:

– كان على الشاعر أن يقول: حنونة أنتِ كالأمّ، كالملاكِ، كالرّب المجيد

ابتسمنا وسحب يده عندما لمح أحد المراقبين قادما.»[1]

وتستذكر حالتها أثناء العودة المدرسية وبعد قضائها لصيف جد شاق: «وأخيرا مضى ذلك الصيف الحار. كان أحر وأطول صيف عشته. إنه أول يوم من الدخول المدرسي وأنا رغم حبي الشديد للمدرسة وتعلقي بها لم أشعر بالحماس للعودة. وقفت وسط الساحة أتأمل مكانه المعتاد حيث كان يصطف قسمه، وتوهمت للحظة أني رأيته منتصبا يرمقني بابتسامة واشتياق.»[2]

وفي موقف آخر تستحضر إحساسها بالوحدة وهي في الثانوية وعندما اعتقدت أن طارق نجح في شهادة البكالوريا وتركها لوحدها هناك فتقول: «في اليوم الثاني والثالث والرابع وما تلا، نما في داخلي إحساس بالوحدة والفراغ. بقيت هادئة وصامتة جدا أسترجع الذكريات. بدت لي الثانوية مكانا موحشا جدا بدونه. بعد أسبوعين انتفضت وذكّرت نفسي

[1] المصدر السابق، ص26.

[2] المصدر نفسه، ص29.

بأني وعدت طارق بأن أجتهد ما استطعت لألتحق به في الجامعة، لذا قررت استعادة تركيزي.»[1]

2.1.3 الاسترجاع الخارجي:

استعادت فاطمة الزهراء حالة الجزائر في فترة الإرهاب وبينت كيف كانت قبل هذه الفترة وكيف أصبحت: «كنت تلميذة في الثانوية بداية التسعينيات عندما بدأنا نسمع بكلمة "الإرهاب" دون أن نعرف لها معنىً محددا. لم نفهم ما هو بالضبط، ولا إلى أي حد هو خطير. بقينا كذلك لعدة سنوات ونحن لم نستوعب كيف حدث كل الذي حدث، وتحولت الجزائر من قطعة من الجنة إلى قطعة من نار، وهي التي كانت جنة الجنّات، التي تأوي إليها كل الكائنات لتعشق وتتكاثر وتستوطن بسلام.»[2]

وفي مقطع آخر تسترجع ذكريات قريتها الصغيرة التي كانت تعيش فيها بأمان قبل أن ينخرط شبابها ضمن الجماعات الإرهابية: «في قريتي الصغيرة التابعة لولاية بومرداس، والواقعة على تلة مرتفعة عند الجهة الشرقية لعاصمة الولاية، بين بلدية زموري ومدخل مدينة بومرداس، كنا نعيش في أمان قبل أن ينخرط شبابها في موجة التطرف ويفسدوا علينا كل العادات الجميلة.»[3]

استحضرت الروائية فاطمة الفتنة التي عاشتها الجزائر خلال "العشرية السوداء"، وكيف تدهورت الحالة الأمنية للبلد الذي كان آمنا مستقرا حتى عاث فيه المتطرفون فسادا.

---

[1] المصدر السابق، ص30.

[2] المصدر نفسه، ص6 وما بعدها.

[3] المصدر نفسه، ص7.

2.3 الاستباق:

ورد في معجم النقد الأدبي ما نصه: «استباق. التوقع – استباق الحدث Prolepse وهو الذي يفصح عن التفاوت نفسه، ويعد في الضد من منطوق الأحداث، إنه حدس.

إن الاستباق أقل حدوثاً من الاسترجاع، وهنا يجب أن لا نخلط بين الاسترجاع (التوقع السردي) والحذف الذي يسمح، بعد أن يجرد الرواية من كل تسلسل للأحداث، بقفزة إلى أمام دون رجعة، كما يحدث في الاسترجاع.»[1]

من أمثلته قول فاطمة الزهراء : «جلست ورحت أقلّب صفحات دليل الكتب الأدبية، هذه المرة أريد ديوان شعر. وجدت نفسي أقرأ نفس الصفحة مرتين لأني تذكرته.. وهل نسيته حتى أتذكره! كم يشغلني هذا الشاب ويسحرني! فكرت لوهلة أنه لن يكون هنا العام المقبل وشعرت بإحساس سيّئ جدا، كان ألما أسفل بطني، أعرف هذا الإحساس الذي ينتابني كلما شعرت بالخوف.»[2]

هنا فاطمة تستبق ما قد يحدث لها حين ينجح طارق في شهادة البكالوريا وتبقى هي وحيدة في تلك الثانوية.

في مقابل ذلك نجد طارق دائما متفائل: «طارق أيضا مشوش جدا وخائف علي ومع ذلك كان أكثر تركيزا مني. أصبح قليل الظهور لأنه يعتكف طويلا في البيت للمراجعة، وفي المرات القليلة التي التقينا فيها في الرواق أو في الساحة لم يكف عن دعمي وتشجيعي

[1] مجموعة من الباحثين، معجم النقد الأدبي، ص334.

[2] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص17.

قائلا: – ركزي فالبكالوريا على الأبواب. يجب أن تنجحي وبعدها سنتحرر. سنذهب إلى العاصمة لندرس ونقيم هناك، وبعد نهاية الدراسة سنعمل لبعض الوقت ثم نتزوج.»[1]

في هذا المقطع نجد طارق يستبق مستقبله مع زهراء كما يناديها، وهو الذي رسم في مخيلته كل ما يقوم به بعدما يتحصل على شهادة البكالوريا.

4. المكان:

يقول لطيف زيتوني: «الفضاء في الرواية هو شيء مصنوع تتصهر فيه عناصر متفرقة جغرافية أو نفسية أو اجتماعية أو ثقافية.

فالفضاء الجغرافي هو محدد الحدث (فضاء باطن الأرض، غابة، غرفة مقفلة، قصر الملك) ومن محددات الشخصية (اقتصاديا واجتماعيا: فيلا/ بيت حقير، ونفسيا: نوافذ مغلقة، لوحات غريبة، ...).

ويتطور الفضاء وتزداد أهميته إذا حدث تحول في مفهومه، أي إذا حصل تحول في علاقة الشخصية أو في علاقة القارئ به (تحول البيت الحقير من دال على الفقر إلى دال على موقف من المجتمع، تحول اللوحات الغريبة إلى لوحات من الفن الطليعي).»[2]

أما طه وادي فيقول: «المكان القصصي: المكان –في الحقيقة– هو البيئة التي يعيش فيها الناس. ولا شك أن الإنسان (ابن بيئته)، وهي التي تعطيه الملامح الجسدية والنفسية. فنحن جميعا بشر.. لكن المكان الذي نولد فيه هو الذي يحدد سماتنا الخاصة

[1] المصدر السابق، ص41.

[2] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص101.

المتميزة، لذلك يجب أن يهتم الكاتب القصصي بتحديد (المكان) اهتماماً كبيراً، لأن ذلك التحديد يعطي الحدث القصصي قدرا من المنطق والمعقولية.»[1]

1.4 الأماكن المغلقة:

الثانوية: كانت الثانوية مصدر إلهام وإرادة بالنسبة لفاطمة الزهراء، فيها تعرفت على صديقها طارق.

المكتبة: علاوة على كل ما تحتويه من كتب تعود بالفائدة على فاطمة الزهراء من علم وبحث، كانت أيضا المكان الملائم لتلتقي مع حبيبها طارق دون أن تلفت الأنظار إليهما كونها مكانا يكتظ بالتلاميذ.

البيت: البيت بالنسبة لأي شخص هو مصدر الأمن والأمان، فيه تسجل الأحداث والذكريات، وفيه يكتسب الفرد شخصيته، وكان للبيت في رواية "تشرفت برحيلك" نصيب وتحدثت عنه في مواضع عديدة، تباينت بين وصف له مفعم بالحزن لما يخفيه من وراء الجدران من مآسي وأحزان وآلام بسبب الاضطرابات العائلية حال بيت فاطمة الزهراء العائلي، وأخرى دلالته على السكينة والطمأنينة كحال بيت زكية بالعاصمة.

الغرفة: تتسم الغرفة بالخصوصية، فهي صندوق الأسرار، وكاتمة المستور، كانت بطلة الرواية تلجأ إليها كلما احتاجت للراحة النفسية والجسدية، فهي تشعر فيها بنوع من الطمأنينة، وعاشت فاطمة الزهراء الكثير من الذكريات في غرفتها والتي تقاسمتها مع أختها

[1] طه وادي، دراسات في نقد الرواية، ص36.

جميلة. وما كان لها إلا باب غرفتها لتختبئ وراءه هروبا من بطش أخويها . تقول: «جريت نحو غرفتي وأغلقت الباب. دفعه والدخان يخرج من أنفه وأدنيه كالعادة.»[1]

وقولها أيضا عندما تلقت خبر اتفاق إخوتها على زواجها: «عدت إلى غرفتي منهارة. في العادة أجلس على السرير وأضم وسادتي وأبكي عليها كاتمة صوتي، لكن هذه المرة رحت أذهب وأجيء في غرفتنا الصغيرة ممسكة برأسي:

– يا ويلي، هذه هي مصيبة المصائب، باعوني في الجبل لإرهابي مثلهما !»[2]

المسجد: هو بيت الله الذي تقام فيه الشعائر الدينية بكل طقوسها من ذكر، تسبيح، صلاة، خطبة الجمعة ودروس ...إلخ، فللمسجد مصدر راحة للأرواح، وطمأنينة للقلوب، وسكينة للنفوس، إنه مبعث الخير ونشر السلام والأمن والأمان، ومنه يتوجب أن يكون الإمام قدوة للمصلين ناصحا وموجها لهم، ولكن فاطمة الزهراء تتحدث عن مسجد من نوع آخر وعن إمام آخر، حيث يحث في بيت الله على إزهاق النفوس ونشر الرعب والخوف.

الجامعة: هي مؤسسة للتعليم العالي والأبحاث، إنها حلم كل طالب علم، وهو حال فاطمة الزهراء بطلة الرواية، التي راودها حلم انتقالها للجامعة وتخرجها، طمعا منها في الاستقلالية والتحرر من قيود البيت وأحكام إخوتها التعسفية ، كما أنها المكان الذي يمكنها فيه الالتقاء بحبيبها، ولكن الحظ لم يسعفها بعد فشلها في نيل شهادة البكالوريا.

[1] فيروز رشام، تشرفت برحيلك، ص51.

[2] المصدر نفسه، ص98 وما بعدها.

المعهد التكنولوجي للتربية : وهو مؤسسة تكوينية تقوم بتكوين الطلاب ليصبحوا أساتذة، كما هو حال فاطمة الزهراء التي فشلت بالالتحاق بالجامعة . نصحها عمها بذلك بقوله: «عوض أن تغامري مرة أخرى بإعادة امتحان البكالوريا وتظلين طوال السنة تتقاتلين مع فؤاد، لما لا تلتحقين بالمعهد التكنولوجي للتربية؟ من جهة ستتكونين لمدة سنة أو سنتين، وبعدها ستتوظفين مباشرة كمعلمة. ومن جهة أخرى ستكونين في نظام داخلي وبالتالي ستوفرين على نفسك حروبا لا نهاية لها مع أخويك.»[1]

المدرسة الابتدائية ببلدية زموري: مكان عمل فاطمة الزهراء في ولاية بومرداس أين تم تعيينها بعد التخرج.

المدرسة الابتدائية بولاية البليدة: أين تم تحول فاطمة الزهراء في عملها كمعلمة.

مركز المعالجة بالمياه: وهو مركز المعالجة بمياه البحر الكائن بسيدي فرج في الجزائر العاصمة، يعالج فيه المرضى المصابين بأمراض في العضلات والعظام، يتلقى فيه المريض العلاج بالشمس ومياه البحر، التدليك والرياضة، وفي الرواية نجد أن فاطمة الزهراء قد زارته على أساس أنها أصيبت بشلل نصفي.

المستشفى: حكت فاطمة الزهراء عن معاناتها بين المستشفيات ومصلحة طب السرطان، ومن بين الأقوال التي تحدثت عن هذا الموضوع نجد قولها: «استقبلت عام 2005 بالعلاج الكيميائي. فقدت وزني وشعري، اصفررت وذبلت كورقة الخريف. مت وشبعت موتا، ومع ذلك مازلت على قيد الحياة.. من عطلة مرضية لأخرى، أقضي الساعات

[1] المصدر السابق، ص59.

الطويلة ممدة بين الآلات والآهات. وبعد سنة تقريبا من العلاج الكيميائي الذي جاء متأخرا، أجريت عملية لاستئصال الورم في مستشفى البليدة.»[1]

2.4 الأماكن المفتوحة:

القرية: تحدثت فاطمة الزهراء عن قريتها الصغيرة التابعة لولاية بومرداس، والواقعة على تلّة مرتفعة عند الجهة الشرقية لعاصمة الولاية، بين بلدية زموري ومدخل مدينة بومرداس.

ذكرت قريتها ووصفت بيوتها عندما تحدثت عن كثرة حركة أختها جميلة بين ربوعها: «صحيح هي ماكثة بالبيت لكن رأسها أشبه بالر ادار، يرصد كل حركة وكل حدث في قريتنا، حيث البيوت موزعة هنا وهناك بلا مخطط. بيوت بسيطة بنوافذ وأبواب خشبية، تحيط بها الأشجار والبساتين الصغيرة.»[2]

بومرداس: وهي ولاية من ولايات الجزائر الساحلية المعروفة بجمالها ومظاهرها الطبيعية الخلابة، والتي تنحدر من إحدى قراها فاطمة الزهراء، تعرضت هذه الولاية لزلزال تضرر منه قاطنوها وما جاورها سنة 2003م، خلف خسائر بشرية ومادية كثيرة، منهم أبوها بعدما انهار عليه دكانه.

البليدة: تشتهر باسم مدينة الورود ، يسوق القدر فاطمة الزهراء إليها كعروس، لتصبح بذلك قاطنة فيها.

---

[1] المصدر السابق، ص186.

[2] المصدر نفسه، ص13.

الجزائر العاصمة: عاشت فيها فاطمة الزهراء بعد طلاقها، أين تم تعيينها هناك بمدرسة ابتدائية، وسكنت بشقة السيدة زكية.

البحر: كان للبحر نصيب في رواية "تشرفت برحيلك" تحدثت عنه وعن لجوء طارق لشاطئ مدينة بومرداس في وقت الشدة ، أما بالنسبة لفاطمة الزهراء فكانت زيارتها له معدودة، تقول: «رغم أنني أسكن في مدينة ساحلية، إلا أني لم أذهب إلى البحر سوى مرات قليلة مع أبي عندما كنت صغيرة، ومنذ أن كبر أخواي حرّماه علينا.»[1]

[1] المصدر السابق، ص118.

الخاتمة

في الأخير نكون قد أنهينا مذكرتنا الموسومة بـ: "تمظهرات السيرة الذاتية في رواية "تشرّفت برحيلك" لفيروز رشام، لنخلص إلى جملة من النتائج التي توصلنا إليها خلال مسارنا البحثي:

– الرواية عمل إبداعي نثري، له خصائصه ومميزاته وفق أساس الخطاب السردي، تسرد قصة بأسلوب فني جمالي لما يتخيله الكاتب من أحداث ويتصورها وقعت أم لم تقع ، تحتوي شخصياتٍ فرديةً من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد ، تصول وتجول بين أزمنة متفاوتة بين الاسترجاع والاستباق، داخل أمكنة مفتوحة وأخرى مغلقة.

– يعيش الإنسان حياته بين آمال يبغي تحقيقها، وآلام تعترضه في بعض مساراته الحياتية، لتجده ساعيا بين الحالين، فيتعلم أحيانا من تجاربه الذاتية، وأحيانا أخرى تكون تجارب غيره معلما يسير على منواله، ولكن البعض يحاول أن يفضي ببعض تلك المحطات والتجارب ليخرجها إلى العلن عن طريق الكتابة، وهو ما يعرف أدبيا بالسيرة الذاتية، إنها سيرة المرء يكتبها بنفسه.

– تتقاطع السيرة الذاتية مع أشكال أدبية أخرى، خاصة تلك التي اتخذت من الكشف عن الذات مادة لها مثل الرواية، حيث يكتب المبدع الروائي قصة حياته في محاولة منه إلى إيصال بعض محطات حياته إلى الآخرين، مزاوجا بين واقعية تفرضها السيرة، وتخييل يكسبها طابع الرواية.

– إن الرواية بطابعها التخييلي، والسيرة بصدقها، يشكلان نوعا سرديا هجينا، يتوارى وراءه المبدع متخفيا من كل مراقبة ومساءلة.

– إن كتابة السيرة الذاتية على شكل رواية لها ميزاتها الفنية التي تميزها كجنس مستقل، وإن جمع بين جنسين مختلفين ومتباينين خاصة ما تعلق بالجانبين التصريحي والتلميحي.

– هناك علاقة بين السيرة والرواية ، وتداخل بينهما بإرادة الروائي أو بطريقة لا إرادية، فالخيال وإن كان من لوازم الرواية وأسسها، إلا أن جانب الصدق الذي يحيل إلى السيرة له حضوره أيضا، وعليه فالرواية مزيج من التخييل والصدق، بمعنى أن الصدق السيري مغلف بالخيال الروائي.

– الرواية والسيرة جنسين متباينين، لكل منهما خصائص وضوابط تميزه عن الآخر، إلا أن الرواية المعاصرة وبفعل التجريب تمكنت من احتواء السيرة والاستثمار فيها، حيث يعمد الروائي إلى توظيف آلياتها، جامعا بين ما هو متخيل روائي وما هو صدق سيري، ليتمخض عن هذا التزاوج هجينا سرديا يعرف بالرواية السيرذاتية، والتي من خلالها يبوح الإنسان الأديب بما يختلج سريرته ويعتري دواخله، متحصنا بهذا السرد الهجين من المراقبة المجتمعية، متخفيا إما بـالسرد بضمير الغائب، أو باللجوء إلى التعديل والحذف مع السرد بضمير الأنا.

– تتسم الرواية بالتخييل ، في حين أن السيرة الذاتية تتخذ من الصدق أساسا تقوم عليه، والمزج بين التخييل والواقع في الرواية السيرذاتية ضرب من ضروب التجريب في الرواية على سبيل التداخل الأجناسي، والقرينة في ذلك الميثاق أو العقد المبرم بين الراوي والقارئ، الذي يتخذ الشكل الضمني تارة والشكل الجلي تارة أخرى.

– نجد شخصية فاطمة الزهراء تلمح في رواي ة "تشرفت برحيلك" على أن قصة الرواية هي فعلا قصة حياتها، وذلك كان في كل فرصة تسنح لها، ووظفت لذلك العديد من المؤشرات، منها خطابها بضمير المتكلم، و إجابتها على الصحفية التي تبادلت معها أطراف الحديث، والتي طلبت منها أن تحدثها عن قصة كتابها التي هي في الحقيقة قصة حياتها كما أعلنت عنه في عديد المواضع، مما يؤكد أن الرواية هي في الأصل تزاوج بين جنسي الرواية والسيرة الذاتية، على سبيل الرواية السيرذاتية.

والله الموفق وهو الهادي إلى طريق الرشاد، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قائمة
المصادر والمراجع

1. المعاجم والقواميس:

* سمير سعيد حجازي، قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1421هـ/2001م.

* لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، لبنان، ط 1، 2002م.

* مجموعة من الباحثين، معجم النقد الأدبي، ترجمة وتحرير: كامل عويد العامري، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد–العراق، ط1، 2013م.

* محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط2، 1419هـ/1999م.

* محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط 1، 2010م.

* نواف نصَّار، المُعْجَم الأدبي، دار ورد للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط 1، 2007م.

2. الكتب:

1.2 العربية:

* إحسان عباس، فن السيرة، دار الثقافة، بيروت–لبنان، ط2، 1900م.

* أمل التميمي، السيرة الذاتية النسائية في الأدب العربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 2005م.

* حسين المناصرة، وَهَجُ السَّرْد: مقاربات في الخطاب السردي السعودي، عالم الكتب الحديث، إربد–لبنان، ط1، 1431هـ/2010م.

* خليل الشيخ، السيرة والمتخيَّل: قراءات في نماذج عربية معاصرة، دار أزمنة للنشر، ط1، 2005م.

* خليل شكري هياس، سيرة جبرا الذاتية في (البئر الأولى وشارع الأميرات)، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، 2005م.

* شعبان عبد الحكيم محمد، السيرة الذاتية في الأدب العربي الحديث (رؤية نقدية)، عماد الدين للنشر والتوزيع، ط1، 2015م.

* صالح معيض الغامدي، كتابة الذات : دراسات في السيرة الذاتية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط1، 2013م.

* طه وادي، دراسات في نقد الرواية، دار المعارف، القاهرة–مصر، ط3، 1994م.

* عبد العزيز شرف، أدب السيرة الذاتية، مكتبة لبنان، د.ط، 1992م.

* عبد الله إبراهيم، موسوعة السرد العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، طبعة جديدة موسعة، 2008م.

* عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، سلسلة عالم المعرفة 240، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1998م.

* فيروز رشام، تشرفت برحيلك، فضاءات للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط 2، 2019م.

* محمد بوعزة، تحليل النص السردي– تقنيات ومفاهيم–، الدار العربية للعلوم، الرباط، ط1، 2010م.

* محمد صابر عبيد، تأويل متاهة الحكي (في تمظهرات الشكل السردي)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية–سوريا، ط1، 2007م.

* محمد صالح الشنطي، فن التحرير العربي ضوابطه وأنماطه، دار الأندلس للنشر والتوزيع، السعودية، ط5، 1422هـ/2001م.

* هويدا صالح، الهامش الاجتماعي في الأدب : قراءة سوسيوثقافية، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2015م.

2.2 المترجمة:

* أندريه موروا، فن التراجم والسير الذاتية، ترجمة وتقديم وتعليق: أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، د.ط، 1999م.

* تيتز رووكي، في طفولتي : دراسة في السيرة الذاتية العربية، تر: طلعت الشايب، مراجعة وتقديم: رمضان بسطاويسي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط1، 2002م.

* جينز بروكمبير ودونال كربو، السرد والهوية : دراسات في السيرة الذاتية والذات والثقافة، تر: عبد المقصود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2015م.

* فيليب لوجون، السيرة الذاتية: الميثاق والتاريخ الأدبي، ترجمة وتقديم: عمر حلي، المركز الثقافي العربي، بيروت–لبنان، ط1، 1994م.

3. المجلات والدوريات:

* حسن بحراوي، أنساق الميثاق الأوطوبيوغرافي–السيرة الذاتية بالمغرب نموذجا، مجلة آفاق المغربية، المغرب، العدد 3–4، 1984م.

فهرس
الموضوعات

إهداء نسيمة

إهداء يسمينة

تشكرات

مقدمة..... أ

الفصل الأول: الرواية السيرذاتية .. السرد الهجين

1. الرواية..... 10

2. السيرة الذاتية..... 13

1.2 الماهية..... 13

2.2 دوافع كتابة السيرة الذاتية..... 24

3.2 وظيفة السيرة..... 32

4.2 تداخل السّيرة وأشكال أدبية أخرى..... 34

3. الرواية السيرذاتية..... 36

الفصل الثاني: السرد السيري في رواية "تشرّفت برحيلك" لفيروز رشام

1. الميثاق..... 52

1.1 الميثاق الروائي..... 53

2.1 الميثاق السير ذاتي..... 54

2. الشخصيات..... 58

3. الزمن..... 82

1.3 الاسترجاع..... 83

1.1.3 الاسترجاع الداخلي..... 84

2.1.3 الاسترجاع الخارجي..... 86

2.3 الاستباق..... 87

4. المكان..... 88

1.4 الأماكن المغلقة..... 89

2.4 الأماكن المفتوحة..... 92

الخاتمة..... 95

قائمة المصادر والمراجع..... 99

فهرس الموضوعات..... 104

الملخص:

يعيش الإنسان حياته بين آمال يبغي تحقيقها، وآلام تعترضه في بعض مساراته الحياتية، لتجده ساعيا بين الحالين، فيتعلم أحيانا من تجاربه الذاتية، وأحيانا أخرى تكون تجارب غيره معلما يسير على منواله، ولكن البعض يحاول أن يفضي ببعض تلك المحطات والتجارب ليخرجها إلى العلن عن طريق الكتابة.

تتقاطع الرواية مع أشكال أدبية أخرى على سبيل التداخل الأجناسي، خاصة تلك التي اتخذت من الكشف عن الذات مادة لها مثل السيرة الذاتية، حيث يكتب المبدع الروائي قصة حياته في محاولة منه إلى إيصال بعض محطات حياته إلى الآخرين، مزاوجا بين واقعية السيرة، وتخييل الرواية.

كتبت عديد الروائيات نصوصهن الإبداعية على شكل جنس الرواية السير ذاتية، إذ نَهَجْنَ نهجا جديدا في توظيف السيرة الذاتية داخل نسيج عملهن الروائي، وذلك حال الروائية الجزائرية فيروز رشام في روايتها "تشرفت برحيلك".

الكلمات المفتاحية: التداخل الأجناسي، الرواية، السيرة الذاتية، الواقع والتخييل.